السحر والحسد

مؤسسة





بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.

أسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي ستصدر بعد مقابلتي خطوة على
طريق الهدى ونوراً ينير الطريق للإيمان
والله نسأل الهداية والتوفيق

محمد متولي الشعراوي



الغلاف بريشة
الفنان : مصطفى حسين

الاخـراج الفنى
عبد الكريم محمود

الفصل الأول



القوى الخفية فى الكون

الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون . . ووضع له قوانينه . . وكل شىء فى الكون له قوانين تحكمه . . فالإنسان له قانون يتناسب مع حياته ووجوده فى هذا الكون . . وكل ما يخدم الإنسان له قوانين تُخضعه ليعطى للإنسان مقومات حياته .

والله تبارك وتعالى خلق فى هذا الكون أشياء تنفعل لك . . وأشياء تنفعل بك .

الأشياء التى تنفعل لك . . هى التى تعطيك بغير مقابل . . كالشمس والقمر والنجوم والرياح والمطر . . كل هذا يعطيك . . دون أن يطلب منك مقابلا .

أما الأشياء التى تنفعل بك . . فهى أسباب الله فى الأرض . . إن فعلت لها أعطتك . . وإن لم تفعل لها لا تعطيك شيئا .

فالأرض إن أحسنت زراعتها . . واخترت لها التقاوى الممتازة أعطتك محصولا وفيرا . . وإن لم تزرعها وتركتها هكذا لا تعطيك شيئا . . والمعادن فى باطن الجبال إن بحثت عنها . . وأقمت المناجم لاستخراجها أعطتك كنوزها . . وإن لم تفعل لا تعطيك شيئا . . وكذلك كل أسباب الحياة . . لابد أن تفعل لها لتعطيك . . وأن تأخذ بالأسباب لتصل إلى عطاءاتها .

هذه هى قوانين الإنسان البشرية . . ولكن هناك مخلوقات أخرى لها قوانين مخالفة . . فالجان مثلاً له القانون الذى يناسب خلقه من نار . . فهو يستطيع أن يخترق الجدران بطبيعة خلقه . . ويستطيع أن يتشكل كما يشاء . . وله قوانينه التى تحكمه . . وقوانين الأشياء التى تخضع له ما خُلِقَ من أجله . . والملائكة خلقت من نور . . لها قوانين . . فهى تصعد إلى السماء وتنزل إلى الأرض بأمر ربها . . والله سبحانه وتعالى أخضع لها قوانين الصعود والهبوط . . وقوانين التشكل وكل ما يجعلها تؤدى مهمتها .

ونحن حين نتحدث عن العلم المادى . . فإن العقول لها أن تنطلق كما تشاء فى ماديات الكون . . فتبحث عن الأسرار التى وضعها الله فى الأرض . . ووسيلتها فى ذلك المشاهدة أو المعمل . . فالعقل يتوقف عند ظواهر الكون المادية . . ولكن ما هو وراء المادة أو الغيبيات . . فلابد أن نأخذ علمه عمن أخبرنا به .

فالغيب مجال لم يخلقه الله للعقل البشرى . . فعالم الملائكة مثلا . . لا يستطيع العقل أن يقول لنا شيئا فيه . . أو أن يعطينا صورة محسة عن المَلَك . . وما هو شكله ؟ . . وما هى طبيعته ؟ . . وما هى قوانينه ؟ . . وكم يعيش ؟ . . إلى آخر ذلك كله .

كذلك بالنسبة للجان . . سواء منهم الصالحون . . أو مردة

الجان وهم الشياطين . . الذين تمردوا على منهج الله سبحانه وتعالى . . لا يستطيع العقل البشرى أن يعطينا صورة عن هؤلاء . . بل إن الحق سبحانه وتعالى . . حينما أراد أن يعطينا صورة مفزعة لعذاب جهنم والعياذ بالله . . قال عن شجرة الزقزم التى هى طعام أهل النار :

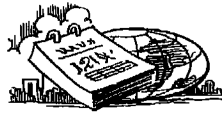
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾

(الآيتان ٦٤ ، ٦٥ سورة الصافات)

الحق سبحانه وتعالى إستخدم رءوس الشياطين . . لأن أحدا منا لم ير الشيطان . . بدليل أنك لو جئت بعدد من الرسامين . . وطلبت منهم أن يرسموا لك صورة الشياطين . . لرسم كل واحد منهم شكلا مختلفا عن الآخر تماما . . هو الشكل الذى يتخيله بالنسبة لصورة الشيطان . . ولا يتفق خيال مع آخر فى ذلك . . ولكنهم جميعا يتفقون . . فى أن صورة الشيطان بشعة ومخيفة .

ولكى يصور الحق تبارك وتعالى . . لكل إنسان ما يفزعه من عذاب جهنم . . إستخدم كلمتى « رءوس الشياطين » . . لتكون مثيرة للفزع فى نفس كل من يقرؤها . . فتدخل فى قلبه الخوف من عذاب النار والعياذ بالله .

ما هو غيب عنا



إذن فهناك ما هو غيب عنا .. من مخلوقات وأسرار .. لم يطلعنا الحق سبحانه وتعالى عليها .. ولا جعل عقولنا صالحة لأن تتعامل معها .. وفى هذا لابد أن نأخذ العلم .. عن الله سبحانه وتعالى .. الذى خلقها .. فهو وحده الذى يعلم قوانينها .. ويلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى ذلك فى قوله :

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

(الآية ٥١ سورة الكهف)

أى أن خلق السموات والأرض وخلق الإنسان .. هو غيب عن عقولنا .. فلا يأتى إنسان يجادل .. فيما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى .. عن هذا الخلق وكيفيته .. لأنه فى هذه الحالة يضلنا عن الحق .. فإذا جاء إنسان ليحدثنا عن قوانين الجن والملائكة .. أو خلق الكون والإنسان .. بطريقة تتنافى مع ما أخبرنا به الله تبارك وتعالى نقول له ما هو برهانك ؟ فإذا كان مجرد فرض أو وهم .. فإننا نرفضه ولا نقبله .. وإذا كان عليه دليل مادى .. فإننا نناقشه .. فقد يكون الدليل فى هذه

الحالة مزيفا يراد منه الإضلال .

لقد أعلنت جامعة كاليفورنيا بأمريكا . . منذ عدة سنوات . . أنها وصلت إلى الحلقة المفقودة . . بين الإنسان والقرد . . وانها تملك الدليل المادى على أن الإنسان أصله قرد . . وعندما قالوا لهم ما هو دليلكم . . قالوا جمجمة عثرنا عليها فى الحفريات . . هى جمجمة إنسان ولكن الفك فك قرد .

وقالوا انهم عثروا أيضا على جمجمة قرد بفك إنسان . . وهذه هى الحلقة المفقودة . . التى يبحث عنها العالم . . ليثبت نظرية داروين . . بأن الإنسان أصله قرد . . وتبين أن الجامعة قد اشترت هذه الجماجم من أحد علماء الچيولوچيا . . الذى تقاضى عشرة ملايين دولار ثمنا لهذا الكشف الكبير .

وعندما أخذت هذه الجماجم . . ووضعت تحت البحث العلمى الدقيق على أعلى المستويات . . باشتراك عدد كبير من العلماء . . اكتشفت الخدعة .

فقد تبين أن هذا العالم قد جاء بجمجمة إنسان وفك قرد . . وبجمجمة قرد وفك إنسان . . ولحمهما بطريقة غاية فى الدقة . . لم تكتشفها الأبحاث الأولية . . التى أجرتها جامعة كاليفورنيا .

وهكذا كان الدليل المادى الذى قدم لإثبات نظرية . . تخالف ما أخبرنا به الحق تبارك وتعالى عن الخلق . . هو دليل مزيف صنعه نصاب بارع . . وأراد أن يخدع به البشرية .

ولو أن العقول التزمت . . بما قال الله سبحانه وتعالى مما هو غيب عنا . . لأراحت نفسها من أبحاث لن تصل بها إلى شيء . . إلا ما أخبرنا به الله . . وكل أبحاث العقول فيما وراء المادة . . إنما هى اقتراحات لا يقوم عليها دليل . . ولن تؤدى بنا إلى علم حقيقى .





الوجود .. والعلم

الله سبحانه وتعالى حين خلق هذا الكون . . جعل فيه قوى ظاهرة وقوى خفية . . قوى نعرفها ونتعامل معها فى حياتنا الظاهرة . . كالأشياء المادية التى نراها أمامنا كل يوم . . ونحن جميعا مشتركون فى هذه الرؤية . . فالعالم الظاهر لا يختلف عليه أحد . . ولكن هناك قوى خفية فى الكون . . هذه القوى لها تأثيرها ولها مهامها . . ولكننا لا نعرف عنها شيئا . . إلا أن شاء الله أن يكشفها لنا .

وإذا أردنا أن نبين معنى القوى الخفية . . فإننا نقول إن هناك فرقا بين وجود الشىء . . وإدراك هذا الوجود . . الشىء قد يوجد ويكون حولنا ويؤثر فى حياتنا . . ولكننا لا ندرك وجوده . . بل أحيانا ننكر هذا الوجود . . مع أن الله تبارك وتعالى . . أعطانا أكثر من دليل مادى . . على أن عدم إدراك وجود الشىء . . لا يعنى أنه غير موجود .

وإذا تأملنا الحضارة المادية البشرية . . نجد فيها ألف دليل . . على أن هناك فرقا . . بين وجود الشىء ومعرفة هذا الوجود . . بل إن العلم البشرى كله . . وارتقاءات الحضارة البشرية . . تأتى من أننا أدركنا أشياء كانت موجودة فعلا واستخدمناها بعد أن كنا لا ندرى شيئا عن وجودها .

ولعل أبسط مثل نبدأ به هو الجراثيم .. تلك المخلوقات التى تبلغ الغاية فى الدقة .. والتى تدخل جسد إنسان .. فيصاب بالمرض .. ويختل الجسد كله .. وترتفع درجة حرارته .. وتظهرعليه علامات معينة كبثور .. أو يتغير لون الجلد ويحس بألم شديد .. كل هذه التغييرات تحدث .. من مخلوق غاية فى الدقة .. موجود فى هذا الكون .

والسؤال الذى لابد أن نجيب عليه هو : هل خلقت هذه الميكروبات والجراثيم .. الآن فى هذا العصر الحديث ؟ أم أنها كانت موجودة منذ خلق الكون ؟ .. طبعا كانت موجودة .. ولكننا لم نكن ندرك وجودها .. ولذلك كانوا يضربون المريض .. لأنهم كانوا يعتقدون أن فى جسده أرواحا شريرة .. وأنهم يريدون طرد هذه الأرواح بالضرب بالعصا وغيرها .

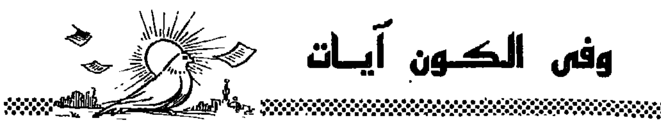
ثم كشف الله سبحانه وتعالى لنا من علمه .. ورأينا هذه الميكروبات .. وعلمنا أنه خلق له دورة حياة .. وتكاثر وتناسل .. وأنه من الممكن القضاء عليها باستخدام عقاقير معينة .. وأصبح علم الطب مليئا بالكتب .. التى تتحدث عن هذه الميكروبات ودورة حياتها .. أكانت هذه الجراثيم والميكروبات .. قبل أن ندرك وجودها .. موجودة فى الكون أم غير موجودة ؟ .. أكانت تؤدى مهمتها أم لم تكن تؤديها ؟ .

الجواب كانت موجودة وكانت تؤدى مهمتها .. وعدم

إدراكنا لوجودها . . لم يوقفها عن أداء المهمة التى خلقت من أجلها . . وكذلك أشياء كثيرة فى الكون .

نقطة الدم وما هو موجود فيها . . من كرات حمراء وكرات بيضاء . . وعشرات التكوينات الأخرى . . هل كنا ندرى عنها شيئا ؟ . . نقطة الماء . . خذها وضعها تحت المجهر . . ترى فيها أنواعا من الحياة . . لم نكن ندركها ولا نعلم عنها شيئا .





ثم انظر إلى الكون . . كواكب جديدة تكتشف كل يوم . . أكانت هذه الكواكب موجودة . . قبل أن نكتشف وجودها ؟ . . أم أنها وجدت لحظة اكتشاف هذا الوجود .

والثروات الموجودة فى باطن الأرض من بترول وحديد ومعادن مختلفة . . أوجدت ساعة عثرنا عليها ؟ . . أم أننا اكتشفنا وجودها فى الفترة الأخيرة ؟ . . ولم نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى الذى لفتنا إليه فى القرآن الكريم . . إلى أن هناك كنوزا فى باطن الأرض . . فقال جل جلاله :

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

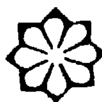
(الآية ٦ سورة طه)

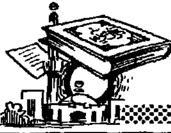
وكان يجب أن نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وما تحت الثرى ﴾ . . لنبحث عن الكنوز المختفية فى باطن الأرض .

وإذا أردنا أن نزيد المسألة إيضاحا . . فإننا نقول ان الإمكانات فى هذا الكون وجدت من أول الخلق . . ولكن الله

سبحانه وتعالى . . كشفها لنا عندما أرادت مشيئته أن نعرفها وأن تستخدمها البشرية . . فى ارتقائها وتقدمها وحضارتها .

فالغلاف الجوى لم يصنعه الإنسان . . أو يضف إليه شيئا . . ولكن الحق سبحانه وتعالى وضع فيه إمكانية نقل الصوت . . من أقصى الأرض إلى أقصاها . . ومن أبعاد هائلة . . فأصبح من الممكن أن يتحدث الإنسان . . فتسمعه الدنيا فى نفس الوقت . . بل وأكثر من ذلك . . أصبح من الممكن باستخدام خصائص الغلاف الجوى . . أن ينزل الإنسان على القمر . . فنراه ونحن جالسون فى بيوتنا . . فى نفس اللحظة التى نزل فيها . . وأصبح الإنسان قادرا على أن يطير من بلد إلى آخر . . باستخدام خصائص الغلاف الجوى .





كل هذا كان موجودا . . فلا أحد يستطيع أن يدعى . . أنه أضاف إلى خصائص الغلاف الجوى شيئا . . ولكننا كنا نجهل هذه الأشياء . . ولا ندرك وجودها . . رغم أنها موجودة فعلا .

كذلك كل جديد يكشفه العلم لنا . . فالعلم لا يخلق أشياء جديدة فى الكون . . ولكنه يكشف لنا من خصائص هذا الكون مالم نكن نعرفه . . ولكل كشف ميلاد . . فإذا جاء وقت ميلاده . . أظهره الحق سبحانه وتعالى لخلقه فعرفوه . . فإن صادف هذا الكشف باحثا يبحث عنه كشفه الله له . . وإن لم يصادف . . تم الكشف بما نسميه نحن قانون الصدفة . . ولا توجد صدفة فى هذا الكون . . بل كل شىء يتم بقدر من الله ومشيئة منه سبحانه وتعالى . . فأسرار الكون وكل ما يحدث فيه . . من صغيرة أو كبيرة . . هو بإذن الله . . وبعلم الله . . واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

(الآية ٥٩ سورة الأنعام)

وإذا أردنا أن نفهم الصورة أكثر . . نذكر قول الحق سبحانه وتعالى في سورة التكوير :

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الآية ٢٩ سورة التكوير)

والله سبحانه وتعالى أطلق ما تشاءون على عمومها . . فلم يخص حدثا دون حدث بذلك . . وبهذا يكون كل ما يحدث فى الكون بكل صوره . . هو من مشيئة الله تبارك وتعالى . . فإذا التقت مشيئة الله جل جلاله بمشيئة البشر . . تم الفعل . . وإذا لم تلتق لا يتم .

إذن فكل شيء فى هذا الكون . . خاضع لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى . . ولا يوجد شيء اسمه الصدفة . . لأن كل أحداث الكون . . موجودة ومرتبة ومسجلة عند الله جل جلاله . . قبل أن يخلق الله هذا الكون . . بل وكل الأحداث إلى يوم القيامة وبعد يوم القيامة . . فى علم الخالق العظيم لهذا الكون .



نكون بذلك قد أثبتنا أن ما يخفى علينا ولا نراه فى الكون .. موجود ويؤدى مهمته فى الحياة .. فإذا حدثنا الله سبحانه وتعالى .. بما هو غيب عنا كالملائكة مثلا .. فلابد أن نتأكد من وجود الملائكة .. وإن لم نكن نراهم .. ولا نجعل رؤيتنا للأشياء هى الدليل الوحيد على وجودها .. بعد أن أعطانا الله جل جلاله .. ألوف الأدلة فى حياتنا المادية .. على أن ما هو غيب عنا موجود .

وإذا كانت الملائكة من قوى الخير .. التى لا نراها فى حياتنا الدنيوية .. ولكنها تقوم بمهامها على أكمل وجه .. مصداقا لقوله تعالى :

﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(من الآية ٦ سورة التحريم)

فهناك قوى أخرى فى هذا الكون .. تريد الشر بالإنسان .. ونحن لا نراها ولا نعرف وجودها .. ولكن الله سبحانه وتعالى .. رحمة بنا أنبأنا عنها .. وطلب منا أن نستعيذ به منها .. ومن هذه القوى الشياطين .. والشياطين هم مردة الجن الكافرون بما أنزل الله .. فهناك الجن

صالح . . والجن الكافر والعاصى من ذرية إبليس . . مصداقا لقول الحق جل جلاله فى سورة الجن :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾

(الآية ١١ سورة الجن)

والشياطين هم أعداء الإنسان . . الذين يريدون به الشر . . ولا يريدون له خيرا . . ولذلك فهم يحاولون أن يدفعوه . . إلى ما يضره ولا ينفعه . . ولكن الحق سبحانه وتعالى . . خلق الشياطين من النار . . وخلق الإنسان من الطين . . والطين كما نعلم معتم ثقيل الوزن . . والشياطين أخذوا من قوانين خلقهم . . ما يجعلهم أكثر قوة وقدرة من الإنسان . . وهم يروننا ونحن لا نراهم . . مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الأعراف)

وما دامت الشياطين ترانا . . ونحن لا نراهم . . فكيف كنا سنعرف بوجودهم ؟ . . لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرنا بهذا الوجود . . وكيف كنا سنتقى شرهم ؟ . . لولا أن الحق سبحانه وتعالى أعلمنا كيف نستعيذ به منهم .

ويريد الله سبحانه وتعالى أن يزيل خوفنا . . من أن يصيبنا ضرر من هذه القوى . . التى لا نراها وترانا . . فيطمئننا بأنه جل جلاله يحفظنا ويرعانا . . لا ينام ولا يغفل . . قيوم على

كونه .. أي قائم عليه فى كل ثانية .. فيقول جل جلاله :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾

(من الآية ٢٥٥ سورة البقرة)

ثم يريد الحق تبارك وتعالى .. أن يزيد اطمئناننا .. فيقول لنا أنه عز وجل .. هو خالق السموات والأرض ـ ولذلك فإنه لا يوجد من خلقه .. من يستطيع أن يخرج عن مشيئته .. فالمخلوق خاضع خضوعا تاما .. للقوانين التى أرادها له الخالق .. لا يمكنه أن يتمرد عليها .. وذلك حتى لا نخشى أن يتمرد مخلوق من مخلوقات الله .. ويفعل شيئا لم يأذن له به خالقه .. فيقول جل جلاله :

﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾

(من الآية ٢٥٥ سورة البقرة)

ثم يزيد اطمئناننا .. فقد نظن أن أحدا ستكون له شفاعة عند الله تجعله يستطيع أن يفعل ما يريد بدون إذنه جل جلاله وأن يعربد فى الكون كما يشاء، أو يظن أحد أن خلقا من خلق الله .. الذى لا يُعَدُّ ولا يحصى سيغيب عن علمه .. أو يتوه ولو جزءاً من الثانية عن طلاقة قدرة الله جل جلاله فيقول :

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾

(من الآية ٢٥٥ سورة البقرة)



وهكذا يريد الله للإنسان . . أن يعرف أنه محروس بعناية الله . . ما دام مطيعا لله سبحانه وتعالى ، متمسكا به . . وحتى حين يكون الإنسان عاجزا عن الدفاع عن نفسه . . وذلك فى فترة النوم . . فليعلم أن الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ . . ولذلك فلينم الإنسان ملء جفنيه وهو آمن مطمئن . . لأن عين الله التى لا تنام تحرسه . . وقدرة الله التى يستمد منها كل من فى الكون قدراتهم ، هى معه . . فلا يخاف شيئا يؤذيه .

الحق سبحانه وتعالى كما أخبرنا عن الشياطين الذين يروننا ولا نراهم . . أخبرنا عن قوى خفية أخرى فى الكون . . هى السحر والحسد . . ولولا أن أخبرنا الله عنهما ما عرفناهما . . ولا فهمنا شيئا عنهما . . ولكن إخبار الله لنا . . أعلمنا بهذه القوى الخفية . . وعرفنا كيف نتقيها . . بالاستعاذة به سبحانه وتعالى .

وإذا كنا قد أثبتنا بالدليل المادى . . بأن ما هو خفى عنا موجود . . فلابد أن نعرف أن السحر والحسد . . هما من القوى الخفية الموجودة فى الكون . . وكما قلنا أن لله سبحانه وتعالى فى كونه قوانين . . ولكل خلق قانون . . ولكنه

جل جلاله لا يريد من أى جنس أن يغتر . . لأنه أُعطى قوة تفوق الأجناس الأخرى . . ولا يريد الحق سبحانه أن يغتر مخلوق . . بأنه أخذ علوا ذاتيا . . أو قدرة من ذاته . . بعيدا عما أراده له الحق سبحانه وتعالى . . وأن الله عز وجل قد خلق من القوانين . . ما يجعل الأدنى قادرا على أن يُخضِعَ الأعلى ويسخره لما يريد .

وإبليس حينما عَصَى اتخذ من ذاتية قوانين خلقه . . ما يريد أن يعلوّ به على مشيئة خالقه . . ولذلك عندما طلب الله سبحانه وتعالى من إبليس أن يسجد لآدم . . كان الرد كما ورد فى القرآن الكريم :

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾

(من الآية ١٢ سورة الأعراف)

وفى آية أخرى :

﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

(من الآية ٦١ سورة الإسراء)

إذن إبليس أخذ هنا من عنصر خلقه ما جعله يحس أنه بذاته أعلى من الإنسان . . ونسى أن كل ما أُعْطِىَ من قوة . . فى عنصر الخلق ليس من ذاته . . ولكنه من الله سبحانه وتعالى . . وأنه كما خضع فى تكوينه لمشيئة الله . . لابد أن يخضع لأوامر الله الذى خلقه مختارا . . وأن تكوين إبليس مهما كان . . لا يعطيه سببا ليتمرد على أوامر الله . . وينسب

قوته لذاته . . فيكون بذلك قد كفر . . ورد الأمر على الآمر .

ولكن الغرور بالنعمة يجعل المخلوق يحسب أنه استغنى بالنعمة عن المنعم . . وأن هذه النعمة أو النعم . . قد حصل عليها بقدراته وذاته . . فينسى خالقه . . ويتمرد على من وهبه النعمة . . تماما كما قال قارون :

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾

(من الآية ٧٨ سورة القصص)

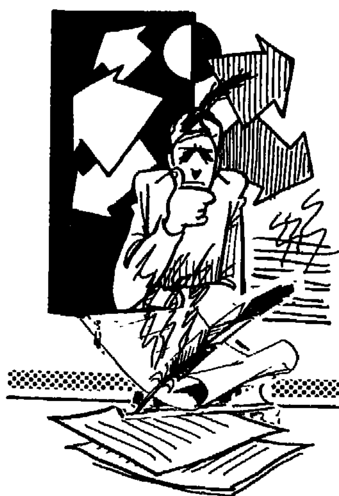
ونسى أن العلم من الله . . وأنه إذا كان قد أعطاه له . . فكان لابد أن يزيده هذا العطاء شكرا لله وطاعة لأوامره .

إلى هنا نكون قد وصلنا . . إلى أن هناك قوى خفية فى الكون . . خلقها الله سبحانه وتعالى . . لها قوانين لا نعرفها . . وطبيعة لا نعلمها . . إلا ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى . . وأن هذه القوى . . وإن لم نكن نعرف عنها شيئا فإنها موجودة ولها تأثيرها . . وأن الله سبحانه وتعالى . . أراد أن يلفتنا إلى أنه لو كان هناك جنس أقوى من جنس . . فإنه جل جلاله قادر على أن يخضع الأعلى للأدنى .

وقبل أن نكمل الحديث . . لابد أن نجيب على عدة أسئلة هامة هى

ما هو السحر ؟ . . ومن هم الذين يقومون به ؟ . . وما هو تأثيره على الإنسان ؟ . . ولماذا أرسل الله سبحانه وتعالى ملكين ليعلما الناس السحر ؟ .

الفصـــل الثـــانى



ما هـو السحـر ؟

السحر . . ذكر فى القرآن الكريم . . ولذلك فهو حقيقة موجودة . . ونحن سنتحدث عن السحر . . كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز . . لأنه ما دام السحر من القوى الخفية فى الكون . . فلابد أن نلتزم فى الحديث عنه . . بما أخبرنا به خالق هذا الكون .

إن كلمة السحر مأخوذة من السَّحَر . . مادة السين والحاء والراء . . والسَحر هو آخر الليل وأول النهار . . فيه من ظلمة الليل وإشعاعات ضوء النهار .

فأنت لا تستطيع أن تقول عنه نهارا . . بمعنى النهار والضوء . . أو أن تقول عنه ليلا بمعنى الظلمة . . ولذلك فإن له واقعين وليس واقعا واحدا .

والسّحْر فى أحد أشكاله جامع بين شيئين . . شىء يخيل إليك أنه واقع ، وهو ليس بواقع . . أى أن له ظاهرا . . لا يعبر عن واقعه ولا عن حقيقته . . ظاهر أشياء تتخيل أنها تحدث . . وهى فى الواقع والحقيقة لا تحدث .

السحر . . تأثيره على العين . . فالعين هى التى تُسحَر . . لترى أشياء ليست واقعة . . ولا هى حادثة . . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾

(الآية ١١٦ سورة الأعراف)

إذن فهو خداع النظر . . العين تُسْحَر . . والنظر يُخدَع . . والمادة لا تتغير . . وإذا تتبعنا السحر فى أبسط قواعده . . فهناك سحر يقوم به البشر بقدراتهم . . وسحر يستعينون فيه بقوى غير البشر . . وهم الشياطين .

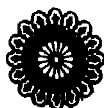
والسحرة البسطاء الذين يقومون بأشكال بسيطة من السحْر . . يعتمدون أساسا على خداع النظر أوخفة اليد . . فهؤلاء الذين يقدمون ما يسمونه بالألعاب السحرية فى الحفلات . . أساس عملهم هو أنهم تدربوا على تحريك اليد بسرعة كبيرة لا تلحظها العين .

ولذلك يحسب المشاهد . . أن ما يحدث أمامه هو تغي لطبيعة الأشياء . . فعندما يأتى الساحر مثلا بكوب ماء ويجعا تختفى . . ثم يعيدها مرة أخرى . . أو يمد يده فى الهواء . ليأتى بأشياء لم تكن تراها . . أو يجعل أشياء تختفى وأشياء تظهر . . كل ذلك هو ما يسمونه خفة حركة اليد . . وحقيقة ما يحدث هو خداع للنظر . . والنظر يخدع بأشياء كثيرة .

السراب مثلا تحسبه العين ماء . . وبعض ألوان الطيف قد تبدو كأشياء فى شكل الأطباق الطائرة . . والحركة السريعا لا تلحظها عين الإنسان .

• إذا أردنا أن نقدم تجربة تثبت ذلك فى أبسط أشكاله . . نقول : إننا إذا أدرنا مروحة كهربائية ونظرنا إليها . . لا نستطيع أن نحدد شكلها الحقيقى . . بل تبدو لنا من سرعة الحركة فى شكل ملتحم . . فإذا أوقفنا الدوران وسكنت المروحة . . تستطيع أن تراها بشكلها الحقيقى . . وترى فيها كل مكوناتها . . والفراغات التى بين هذه المكونات . . وغير ذلك من التفاصيل . . وهو مالم تكن تستطيع أن تدركه . . مع سرعة الحركة أثناء دورانها .

إذن فالعين تُخدع بالحركة السريعة . . وهذا ما نعرفه فى خفة اليد . . أو الألعاب السحرية التى يقومون بها . . معتمدين على سرعة حركة اليد . . فيخدعون العين ويبدو وكأنهم يأتون نوعا من السحر .



ولكن هناك سحر آخر . . وهو ما سنتحدث عنه . . وإذا كنا قد أوردنا أمثلة بسيطة عما نتحدث عنه . . فإننا فعلنا ذلك . . لنقرب المعنى إلى عقل القارىء . . بشىء مادى يراه ويشاهده كل يوم . . ويجعل أبسط العقول . . تفهم معنى خداع النظر أو سحر العين .

وإذا كانت هذه هى طبيعة خفة اليد فى أبسط صورها . . فإنها فى أعلى صورها . . تخيل وسحر للعين ، وليس واقعا حقيقيا .

الحق سبحانه وتعالى . . أراد أن يفهمنا أن السحر هو نوع من التأثير على العين . . لترى أشياء لا تحدث فى الواقع ولا فى الطبيعة . . وإذا أردنا أن نفهم ذلك . . فلابد أن نتحدث . . عن لقاء موسى عليه السلام والسحرة . . ماذا قال الحق جل جلاله عن هذا اللقاء

﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾

(الآيتان ٦٥ ، ٦٦ سورة طه)

وعلينا أن نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يخيل إليه ﴾ . . أى أنه مجرد تخيل وليس حقيقة وواقعا . . فالحبال فى أعين السحرة ظلت حبالا . . ولكنها فى أعين كل مشاهديها . . بدت كحيات هائلة . . حتى أنهم تخيلوا أنها تسعى على الأرض . . وأنها حيات حقيقية . . ذلك هو نوع من السحر فى مضمونه . . العين ترى ماليس واقعا . . وتتخيل أشياء ليست حقيقية . . ولذلك ماذا حدث عندما ألقى موسى عصاه ؟ .



السحرة والمعجزة



.. لماذا سجد السحرة وأعلنوا إيمانهم برب موسى ؟ .

لأنهم رأوا عصا موسى تتحول إلى حية حقيقية .. فهؤلاء السحرة أثروا على أعين الناس بسحرهم .. فجعلوهم يتخيلون أشياء لا وجود لها .. ولكن أعين السحرة لم يؤثر عليها سحر .. ولذلك بقيت على طبيعتها .. ترى الأشياء بواقعها الحقيقى .. فكما قلنا .. الحبال والعصى التى ألقاها السحرة .. ظلت فى أعينهم حبالا وعصيا .. فلما رأوا عصا موسى .. تتحول إلى حية هائلة .. عرفوا أن هذا ليس سحرا ولكنه حقيقة .. وعرفوا أن هذا ليس خداعا للنظر .. ولكنه تحول حقيقى لطبيعة الأشياء .. ولا يقدر أن يحول العصا إلى حية حقيقية .. إلا الله سبحانه وتعالى .. فعرفوا أن ما حدث أمامهم هو معجزة .. لا يقدر عليها إلا الخالق .. وعرفوا أن موسى عليه السلام .. رسول من الله وليس ساحرا .

ولأن كل من يتقن فناويعرف خباياه .. هو الذى يفهمه فهما حقيقيا بحيث لا يستطيع أحد أن يخدعه فيه .. فقد تأكدوا يقينا بعلمهم عن السحر وطبيعته .. أن ما يحدث أمامهم معجزة وليس سحرا .. مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾

(الآية ٧٠ سورة طه)

وبهت فرعون مما حدث .. كيف يسجد السحرة الكبار الذين جاء بهم ؟ .. وهو يحسب أنهم سيفضحون موسى عليه السلام .. ويكشفون سحره للناس .. كيف يسجدون لإله موسى ؟ .. فقال لهم كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾

(من الآية ٧١ سورة طه)

وهكذا .. لأن فرعون ليس ساحرا .. ولا يعلم شيئا عن السحر .. وكانت عيناه مسحورتين كأعين باقى الحاضرين .. لم يستطع أن يفرق بين السحر والمعجزة .. فهو رأى حبال السحرة وعصيهم حيات تسعى .. ورأى عصا موسى حية تسعى .. ولم يستطع التفرقة بين الحقيقة والتخيل ، لأن عينيه مسحورتان .. وكان له منطق يتناسب مع ادعائه الألوهية .

ومع ضرورة وجود تفسير لسجود السحرة المفاجىء .. فلم يجد ما يقوله إلا أنه تعجب من أن السحرة سجدوا .. قبل أن يأذن لهم بالسجود .. ولو كان إلها حقيقيا كما يدعى .. لقهر السحرة على عدم السجود .. ولكن لأنه إله مزيف قدراته بشرية .. فلم يكن يعلم أن السحرة سيسجدون .. لأن علمه علم بشر .. ولم يستطع أن يقهرهم على عدم السجود .. لأنه فوجىء بما حدث .. فعلمه المحدود لم يمكنه من السيطرة

على من ادعى عليهم الألوهية .

وهكذا فضح فرعون زيف ادعائه بالألوهية . . بعد أن أذهلته المفاجأة . . إلا أنه اعتقد أن موسى عليه السلام . . هو كبير السحرة . . وأنه هو الذى علمهم السحر . . ولذلك سجدوا اعترافا بزعامته وتقديرا لبراعته

ولكن السحرة ردوا على فرعون بالحقيقة . . وصدموه بأن موسى عليه السلام . . ليس ساحرا ولكنه رسول من الله وأن ما حدث حين ألقى موسى عصاه ليس سحرا ولكنه معجزة .

وأراد فرعون إنقاذا لماء وجهه أن يهدد السحرة ويخيفهم . بأنه سيعذبهم ويقتلهم . . علهم يرجعون عما فعلوه . . من السجود لرب موسى وهارون .



ويروى لنا القرآن الكريم ما حدث من تهديد فرعون :

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾

(من الآية ٧١ سورة طه)

وهكذا ألقى فرعون بتهديده .. وكان يحسب أن هذا التهديد كافيا .. ليعود السحرة إلى عبادة فرعون .. وليكشفوا الحقيقة وأن هذا هو اتفاق .. اتفقوا عليه وأخفوه عن فرعون .. لينصبوا موسى ملكا عليهم لأنه كبيرهم .. وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ١٢٣ سورة الأعراف)

ولكن كل هذه التهديدات والاتهامات من فرعون .. لم تأت بنتيجة .. لأن السحرة رأوا المعجزة وتيقنوا منها .. ولذلك رفضوا الخضوع لتهديدات فرعون .. فقد دخل يقين

الإيمان إلى قلوبهم .. وثبت نور الله فى هذه القلوب التى جاءت لتبارز وتكشف موسى عليه السلام .. فإذا بها من أول المؤمنين به .. وكان إيمان السحرة قويا ... لأنهم رأوا المعجزة وعرفوها وفهموها .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾

(من الآية ٧٢ سورة طه)





إذن لم يكن التغيير فى لقاء السحرة . مع موسى عليه السلام .. تغييرا فى الأشياء التى ألقاها السحرة .. ولكن التغيير كان فى أعين الناس .

إذن فالمسحور ـ وليس الساحر ـ هو الذى يحدث له التغيير ، أو هو الذى تُسْحَر عيناه .. ولو كانت عصا موسى عليه السلام مجرد عصا .. لكان السحرة أول الناس بمعرفة أنها عصا .. لأن أحدا لم يسحر أعينهم .. ولكنهم عرفوا أنها قد تغيرت طبيعتها إلى أفعى .

إذن فالسحر هو تخيل حقيقة .. وليس تغيير حقيقة .. وهو تخيل حقيقة تدخل فى نفس المسحور الرعب والخوف والفزع .. وتجعله يخضع للساحر فى كل ما يريده .. ولذلك لابد أن نلتفت فى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وسحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾ إلى كلمة : ﴿ استرهبوهم ﴾ .

ولعلنا نلاحظ أن السحرة يحاولون قدر إمكانهم .. استخدام أشياء تدخل الرعب فى النفوس .. كالجماجم والأصوات المخيفة .. ليكون المسحور مهيأ نفسيا للرعب أكثر .. فيخضع ويملأ الرعب نفسه بمجرد أن يرى الأشياء التى جعله الساحر يتخيلها .

وعن طريق هذا الرعب . . يستطيع الساحر أن ينفذ ما يريد . . وأن يجعل المسحور يفعل ما يشاء . . وأن يفرض إرادته على المسحور . . والمسحور لا إرادة له مع الساحر .



قوة السحر .. أم بمعاونة الشياطين

ولكن هل هذا يحدث بقوة السحر ؟ .. أو بمعاونة الشياطين للساحر ؟ .

الثابت أن للشياطين علاقة بالسحر . وأنهم هم الذين علموه ونشروه .. بعد أن نزل به الملكان ببابل..هاروت وماروت .. والله تبارك وتعالى أخبرنا فى القرآن الكريم .. أن الشياطين بعد أن نزل السحر فتنوا به الناس .. لأنه فتنة وكفر .. وأن مهمة الشياطين إضلال الإنسان .. وإبعاده عن المنهج .. ونشر الكفر والضلال .. لأن الشيطان عدو للإنسان يريد به الشر والسوء .. والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

وما دام الحق سبحانه وتعالى .. قد أخبرنا أن الشياطين يعلمون الناس السحر .. فلابد أن للشياطين دخلا كبيرا بالسحر .. وما داموا يعلمون .. فمعنى ذلك أنهم أتقنوه .. لأنك لا تستطيع أن تكون معلما لشىء إلا إذا أتقنته تماما وأصبحت قادرا على تعليمه لغيرك .

فمعلم أى مادة من المواد . . لابد أن يكون على دراية بها . . حتى يستطيع أن يدرسها ويعلمها لتلاميذه . . إذن فالشياطين لها دخل كبير بالسحر وهى تحاول أن تنشره . . بعد أن نزل به الملكان هاروت وماروت .





الشيــاطين .. تتشكل

ومعاونة الشياطين للساحر .. تجعله قادرا على فتنة الناس .. لأنه فى هذه الحالة تعاونه قوة من القوى التى تتميز على الإنسان فى قدراتها لتعاونه على ذلك

كيف .. ؟ .. لقد خَلَقَ الله سبحانه وتعالى الشياطين من نار .. ولهم قدرة على التشكل .. فالشيطان من الجن يستطيع أن يتشكل بأى شىء .. والإنسان لا يستطيع هذا التشكل ولا يعرفه .. والإنسان لا يستطيع أن يرى الشيطان إلا إذا تشكل فى شىء .. يدخل فى قانون رؤية الإنسان .

فالشيطان فى صورته الطبيعية .. لا يمكن أن يراه الإنسان .. لأنه فوق قدرة قانونه .. ولكنه إذا تشكل فى شكل إنسان أو حيوان مثلا أمكننا أن نراه .

والشيطان عندما يتشكل فى صورة مادية .. فإن قوانين الصورة التى تشكل عليها تحكمه .. فإذا تشكل فى صورة إنسان خضع .. لقوانين الإنسان .. فإذا أطلقت عليه النار فإنه يموت فورا .

ولذلك فإن الشيطان إذا بدا فى أى صورة من الصور .. فإنه لا يستمر هكذا إلا لحظة خاطفة ، ثم يختفى بعدها .. لأنه

يعرف أن من رآه على هذه الصورة .. يمكنه أن يقتله .

ولقد حدث هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهو فى المسجد يصلى .. تشكل له شيطان فى صورة إنسان .. فأمسك به الرسول عليه الصلاة والسلام .. وهم بأن يربطه فى سارية المسجد .. ولكنه صلى الله عليه وسلم .. تذكر دعاء سليمان .. الذى طلب فيه من الحق سبحانه وتعالى .. أن يعطيه مُلْكاً .. لا يعطيه لأحد غيره .. مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾

(الآية ٣٥ سورة ص)

وتروى كتب السيرة .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أنه قال : (إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه ، فأخذته وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم .. حتى ذكرت دعوة أخى سليمان : ﴿ رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب ﴾ .. قال فرددنه خاسئا) .



قانون التشكل

إذن فالجن له القدرة على التشكل ولكنه يحكمه قانون ما تشكل به . . فإذا تشكل كإنسان . . أمكنك أن تمسك به وأن تقتله . . ولا يستطيع أن يفلت من قانون الشكل . . ولذلك عندما أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجني الذى تشكل على هيئة الإنسان . . كان يحكمه قانون البشر . . وكان من الممكن أن يربط فى سارية المسجد ويراه الناس .

ولذلك فإن شياطين الجن إذا تشكلت فى شكل ما . . يكون ذلك للحظة أو لحظات . . بحيث لا يستطيع الإنسان أن يمسك بها . . وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بنا .

ولو كانت الجن تستطيع التشكل دون أن تخرج من قانونها . . إلى قانون الشكل الذى اتخذته . . لأفزعنا مردة الجن ولأحالوا حياتنا إلى جحيم . . ولكن هذا القانون الذى يحكمهم . . خفف عنا الكثير من العبث والعربدة . . التى كان يمكن أن تقوم بها شياطين الجن فى عالم الإنسان .



إذن فهناك أنواع من السحر يستعان فيه بشياطين الجن لماذا ؟ . . لأنك تستعين فيها بمخلوقات قانونها أقوى من قانون البشر وذلك بحكم عنصر خلقها . . فنحن ـ لأننا خلقنا من طين ـ حركتنا محدودة وسرعتنا محدودة . . لا نستطيع مثلا أن نخترق الأشياء . . ولكن الجن ـ لأنها مخلوقة من نار ـ تستطيع .

وإذا أردنا مثلا يقرب ذلك إلى الأذهان . . فإننا نقول:إذا أتيت بتفاحة مثلا وهى مخلوقة من طين . . ووضعتها وراء جدار لا تحس بوجودها . . لماذا ؟ . . لأن مادة الطين المخلوقة منها لا يمكن أن تتعدى الجدار الموجود . . ولكن إذا أوقدت نارا وراء الجدار وجلست أمامه ، فإنك تحس بعد فترة بسيطة بالدفء يخترق الجدار ويصل إليك . . ذلك ان النار أكثر شفافية من الطين .

وكما قلنا عندما أراد سليمان إحضار عرش بلقيس . . كان فى مجلس سليمان الإنس والجن . . ولكن إنسيا واحدا مهما بلغت قوته . . لم يستطع أن يتقدم لهذا التحدى . . لأنه محكوم بقانونه . . ولكن عفريتا من الجن ـ أى من أقوياء الجن ـ هو الذى تقدم وقبل التحدى . . وفى ذلك يقول الحق

سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾

(الآيتان ٣٨ ، ٣٩ سورة النمل)

لقد دار هذا الحوار . . بعد أن خرجت ملكة سبأ من عاصمة ملكها فى طريقها إلى سليمان . . ومعنى ذلك أن الرحلة بقوة وقدرات البشر قد بدأت . . وأن ملكة سبأ تستعين فى رحلتها بأقوى عناصر الانتقال فى عصرها . . لأنها ملكة لأمة ذات قوة وبأس شديد . . كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم

والأمة عندما تبلغ من القوة والبأس الشديد . . لابد أن تكون قد أخذت بأقوى الأساليب فى عصرها . . لأنها لو كانت متخلفة ، فلن تصبح ذات قوة وبأس شديد . . بل تصبح أمة ضعيفة هزيلة .

ولكن الحوار الذى دار بين ملكة سبأ وبين وزرائها ومستشاريها وقادة جيشها بعد أن تلقت الملكة رسالة سليمان . . التى حملها لها الهدهد . . يبين لنا أن هذه المملكة كانت من الممالك القوية . . والقرآن الكريم ينقل لنا

ما حدث في قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾

(الآيتان ٣٢ ، ٣٣ سورة النمل)

إذن فملكة سبأ فى رحلتها إلى سليمان . . استخدمت أقوى عناصر السفر فى عصرها . . التى يستخدمها البشر . . سواء من الخيول القوية السريعة أو غير ذلك . . وفى هذه الحالة . . لابد للجني الذى سيذهب لإحضار العرش أن يكون له من الخفة والسرعة ما يمكنه من الذهاب إلى قصر الملكة بلقيس وحمل العرش وإحضاره قبل أن تصل الملكة ومن معها إلى مكان سليمان .

وإذا كانت الملكة قد بدأت رحلتها وقطعت نصف الطريق أو ثلث الطريق . . فإن على هذا الجني أن يصل إلى قصرها . . ويعود إلى قصر سليمان قبل أن تصل الملكة ومن معها . . وفى هذه الحالة لابد أن تكون سرعته على الأقل . . خمسة أضعاف السرعة التى يتم بها سفر الملكة . . أو أكثر من ذلك . . حتى يحضره قبل أن تصل الملكة ، بحيث يكون العرش موجودا عنده . . وأن تراه لحظة وصولها .

ومن هنا نعرف أن سرعة الجن . . تفوق سرعة البشر بعدة أضعاف . . وأنه ـ أى الجن ـ يملك من سرعة الحركة ما يمكنه أن ينتقل من مكان إلى آخر بقدرات فوق قدرات البشر .





وإذا كنا قد وصلنا .. إلى أن الجن يتشكل .. وأن له سرعة فائقة وقدرة على الاختراق والتغلغل .. نكون قد علمنا أن قدرات الجن بحكم عنصر خلقه تفوق قدرات البشر .. وأنه يستطيع أن يفعل أشياء لا يقدر البشر عليها وليس أهلا لها .

إذن من يستعين بالسحر فى تسخير الشياطين .. إنما أخذ قدرة وقوة فوق قوة وقدرة البشر العادى .. لذلك يستطيع أن يفعل أشياء لا يقدر عليها البشر .

الله تبارك وتعالى شاء عدله .. ألا يميز خلقا عن خلق إلا بالتقوى واتباع منهجه .. لأنه رب البشر جميعا .. فهو ربى وربك .. ولذلك لا يعطينى ما أتفوق به عليك بحيث ينتشر الظلم فى الأرض .. لأن الإنسان إذا تفوق على إنسان آخر .. تكون الفرصة بين العباد غير متكافئة .

فالذى يملك القوة والقدرة .. مستعينا بقوة أخرى هى بحكم عنصر خلقها أكبر من البشر .. إنما أخذ ميزة تغريه على الظلم .. لأن القوة دائما هى التى تغرى الإنسان أن يظلم .. وأن يعيث فى الأرض فسادا .. والله جل جلاله شاءت حكمته

أن يبتلى الإنسان بالخير والشر . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾

(من الآية ٣٥ سورة الأنبياء)

وتكافؤ الفرص . . هو الذى يوجد الأمن والأمان والسلام، والله يريد لعباده حياة آمنة . . والكون قائم على تكافؤ الفرص . . والفرص المتساوية .

ولو أننا نظرنا مثلا إلى السلام فى الكون . . والله سبحانه وتعالى حريص على أن يعيش عباده فى سلام . . نجد أن الذى يبقى السلام ويديمه . . هو تكافؤ الفرص . . أن تكون هذه دولة قوية . . تواجهها دولة قوية . . فلو أن دولة أحست أنها أقوى من جيرانها . . أو من القوة المواجهة لها . . لطمعت فيها وغزتها .

ولكن إذا كانت القوة متكافئة . . فإن كلا منهم تخشى الأخرى . . ولذلك فإن سياسة ما يطلقون عليه التوازن النووى . . هى التى تمنع نشوب أى حرب عالمية . . وهى المسئولة عن استمرار السلام فى العالم . . ولو أن إحدى القوتين أحست أنها تتميز عن الأخرى . . لقامت الحرب . . لأن التوازن غير موجود . . كذلك فى الكون .



حكم المستعين بالسحر

ولذلك فإن الذى يستعين بالسحر . . إنما يستعين بقوة أكبر من قوة الإنسان . . واستعانته به تحدث خللا فى المجتمع البشرى . . تماما كالذى يملك مسدسا وسط مجموعة من الذين لا يملكون سلاحا . . فإن قوته تغريه على الظلم وعلى البطش .

ولذلك فقد حرم الله الاستعانة بالسحر . . واعتبره نوعا من الكفر . . لأن الساحر يعتقد أنه بذاته وعلمه . . يستطيع أن يسيطر على غيره فى الكون .

عند هذه النقطة نكون قد وصلنا . . إلى أن هناك قوى خفية فى الكون . . وأن من هذه القوى السحر . . وأن السحر ليس حقيقة . . ولكنه تخيل لشىء غير واقع . . وأن الذى يُسحر هو أعين الناس . . وأن السحر يدخل الرهبة فى النفوس . . ويجعلها تستسلم لما يريده الساحر . . وأن الساحر يستعين بقوى بحكم عناصر خلقها أكبر من قوة الإنسان . . وهم شياطين الجن .

بقى بعد ذلك أن نعرف قصة هاروت وماروت . . وهما الملكان اللذان أنزلهما الله سبحانه وتعالى ليعلما الـ... السحر .

الفصل الثالث



هاروت وماروت

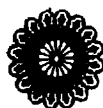
إذا أردنا أن نبدأ قصة السحر . . فلابد أن نبدأها بالآيةالكريمة :

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ١٠٢ سورة البقرة)

وهكذا نعرف من الآية الكريمة . . أن السحر أنزله الله سبحانه وتعالى . . وأنه أنزل ملكين ببابل هما هاروت وماروت . . وأن السحر فتنة يقود الى الكفر . . وأنه لا يستخدم فى النفع . . ولكنه يستخدم فى الضر ، والتفريق بين المرء وزوجه . . وأن من يستخدم السحر ليس له جزاء فى

الآخرة الا النار . . وأن من يعمل بالسحر تكون نهايته سيئة ويموت كافرا . . ذلك ما قالته لنا الآية الكريمة إجمالاً عن السحر . . والله سبحانه وتعالى أراد أن ينبهنا الى الضر الذى يحدث من استخدام السحر . . سواء بالنسبة لمن يمارس السحر أو يعلمه . . وأن للشياطين أو مردةالجان . . المتمردين على منهج الله . . علاقة قوية بالسحر .





إذا أردنا أن نبدأ القصة من أولها . . فلابد أن نبدأ بهاروت وماروت . . وهما الملكان اللذان أنزلهما الله سبحانه وتعالى ليعلما الناس السحر . . فالله تبارك وتعالى له فى كونه ابتلاءات أو اختبارات . . وهذه الابتلاءات تكون إما بالخير ، وإما بالشر . . فالحياة الدنيا من أولها الى آخرها . . امتحان كبير ، يبتلى فيه الانسان . . مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾

(من الآية ٣٥ سورة الأنبياء)

وكما يبتلى الانسان ويمتحن بالمال والولد . . وهما خير الدنيا وعزتها . . لتكون هذه النعمة إما زيادة فى طاعة الله . . بأن يستخدمها صاحبها فيما أمر به الله . . من خير وصدقة واطعام للفقير . . وإما أن يستخدمها فى شر بأن ينفقها على المعاصى . . كذلك السحر . . فتنة وهو يعطى الانسان قدرة أكثر من قدراته . .

وفى هذه الحالة . . إما أن يستخدم الانسان هذه القدرة فى النفع . . أو يستخدمها فى الضر والأذى . . لأن من يتعلم السحر يستطيع أن يستخدم الشياطين لخدمة أغراضه . . وبما

أن الشياطين ـ بحكم عنصر خلقهم ـ أقدر من الإنسان . . فإن من يستعين بهم فى هذه الحالة . . يأخذ فرصة غير متكافئة مع غيره من البشر . . وهذه الفرصة تغريه بالظلم وبالضر . . فضلا عن أن الله سبحانه وتعالى . . قد قضى عليه بعدم الانتفاع من السحر . . بل إن نهايته تكون فظيعة .





الملكان هاروت وماروت . . نزلا الى الأرض ليعلما الناس السحر بأمر الله . . ومن حكمة الله سبحانه وتعالى . . أنه اختار ملكين من جنس آخر . . وعناصر أخري غير عنصر الانسان .

أولا لأن الملكين لا ينتفعان بالسحر . . فهما فى غير حاجة اليه . . وبذلك تنتهى شبهة الانتفاع . . ونعلم جميعا أن السحر لا ينفع بل يضر . . ولو أن الله سبحانه وتعالى اختار بشرا رسولا ليعلم الناس السحر ـ والرسول مفروض فيه أن يكون قدوة سلوكية . . ومطبقا لمنهج يقتدى به الناس ـ لاعتقد الناس أن السحر شيء نافع . . ولقالوا إنما علمنا ذلك رسول الله . . والرسول قدوة ونحن نقتدى به ونفعل مثله . . ولوجد من يجادل قائلا : إذا كان السحر ضر يقود إلى الكفر . . فلماذا أرسل الله به رسولا والرسول لا يأتى إلا بمنهج نافع من الله ؟

. . ولكن الملكين هاروت وماروت . . اللذين علما الناس السحر . . لم ينتفعا به لأنه لا ينفعهما . . وفى نفس الوقت حذرا الناس أن السحر فتنة يؤدى إلى الكفر . . وبذلك يكون العلم الذى أراده الحق سبحانه وتعالى للبشر قد وصل إليهم بالطريقة التى أرادها الله . . وبوضوح رؤية فى أن السحر شر وابتلاء

على أن هناك أشياء كثيرة .. رويت عن هاروت وماروت .. ومن بين هذه الروايات أنه حين أخبر الحق تبارك وتعالى الملائكة عن خلق آدم قالوا :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

(من الآية ٣٠ سورة البقرة)

حينما قالت الملائكة ذلك .. طلب الحق سبحانه وتعالى منهم أن يختاروا ملكين .. ليهبطا إلى الأرض فينظر كيف يعملان .. فاختاروا هاروت وماروت ، وعندما نزل هاروت وماروت الى الأرض .. جاءتهم امرأة بارعة الجمال .. فسألاها نفسها .. فقالت لا حتى تشركا .. فرفضا الاشراك .. فغابت عنهما وعادت بصبى وقالت لا أعطيكما نفسى حتى تقتلا هذا الصبى .. فرفضا أن يقتلاه .. فذهبت وعادت اليهما بقدح من الخمر .. وقالت لا أعطيكما نفسى حتى تشربا هذا الخمر .. فشرباه فأشركا وقتلا الصبى وارتكبا الزنا ..

وهذه القصة رغم ورودها فى بعض كتب التفسير .. فإنها غير صحيحة .. أولا .. لأن الملائكة « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .. وثانيا .. أنه من تمام الايمان أن يؤدى المخلوق كل ما كلف به من الله سبحانه

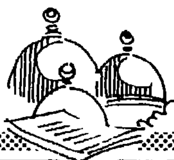
وتعالى . . وهذان الملكان كلفا بتعليم الناس السحر . . وكلف بأن يحذرا كل من علماه بأن السحر فتنة ويؤدى الى الكفر . . وقد فعلا ذلك . . بذلك يكونان قد أديا ماأمرهما الله به . . وهذا من تمام التكليف وتمام الايمان . .

وقد أوردنا هذه القصةالتى رويت فى بعض الكتب . . ليعلم الناس أنها غير صحيحة . . وأنها مفتراة . . وأن هاروت وماروت أديا ما أمرهما الله به .

وإذا كان الحق تبارك وتعالى . . قد أرسل ملكين ليعلما الناس السحر . . فمعنى ذلك أن السحر علم يستعين فيه الانسان بالشياطين . . ولكن من الخير للبشر جميعا ألا يتعلموه . . وألا يفتنوا به لأنه لا ينفعهم .

ولقد ضربنا مثلا لذلك بانسان تعلم استخدام السلاح . . وسط قوم لا يعرفون شيئا عن استخدام الأسلحة . . ثم اشترى لنفسه مسدسا . . وقال سأستخدمه لرد الظلم عن الناس . . ولكنه ساعة يملك السلاح . . أيملك نفسه ألا يطغى به ؟ . . أم أن هذه الميزة تغريه أن يظلم ويطغى ويملأ الدنيا فسادا ؟





ولقد ذكر القرآن الكريم فى حديثه عن السحر . . ما وقع فى عهد سليمان عليه السلام . . فهل بدأ السحر فى عهد سليمان ؟ . . وهل نزل الملكان هاروت وماروت فى عهد سليمان ؟ . .

الثابت أن السحر نزل قبل عهد سليمان . . لأن السحر كان شائعا فى عهد موسى عليه السلام . .

وقد أنبأنا القرآن الكريم بما حدث بين موسى وسحرة فرعون وسليمان بن داود عليهما السلام . . وداود جاء بعد موسى كما أخبرنا القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(من الآية ٢٤٦ سورة البقرة)

هؤلاء القوم من بنى اسرائيل . . الذين جاءوا بعد موسى . . طلبوا من نبى لهم جاء بعد موسى . . وأنبياء بنى اسرائيل كثيرون . . لأن عصيانهم لمنهج الله سبحانه وتعالى كثير . . هؤلاء القوم من بنى اسرائيل طلبوا أن يرسل الله جل

جلاله لهم مَلكا . . ليقاتلوا فى سبيل الله . . فأرسل لهم الملك . . وذهبوا للقتال بعد أن تقاعس وهرب معظمهم . . ولم يبق الا أقل القليل . . ذهبوا لقتال مَلِك طاغية اسمه جالوت .

والذى يهمنا فى هذه القصة هو قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾

(من الآية ٢٥١ سورة البقرة)

إذن فداود جاء بعد موسى . . وسليمان بن داود . . فالسحر كان موجودا فى الأرض قبل سليمان . . وقبل موسى عليهما السلام . . بل إن القرآن الكريم . . يذكر لنا السحر فى عهد قوم صالح عليه السلام . . وهو من أنبياء الله الذين جاءوا قبل ابراهيم الخليل عليه السلام . . فعندما جاء صالح ليدعو قومه إلى منهج الله . . اتهموه بأنه من المسحورين . . مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾

(الآية ١٥٣ سورة الشعراء)

ومن هنا نعلم أن السحر كان معروفا عند قوم صالح . . إلا ما اتهموا نبيهم بأنه مسحور . . وبذلك نصل إلى أن هاروت وماروت . . قد نزلا إلى الأرض وعلما الناس السحر منذ قديم

الزمان . . قبل مجيء سليمان بفترة طويلة . . فما الذى جعل الآيات التى ذكر فيها هاروت وماروت فى القرآن الكريم ترتبط بسليمان ؟

إذا تتبعنا الآيات التى قبلها وهى عن اليهود . . وجدنا أن الحق تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ١٠١ سورة البقرة)

فى هذه الآية الكريمة يخبرنا الله سبحانه وتعالى . . بأن القرآن الكريم جاء مصدقا لما مع اليهود من التوراة . ولكنهم كذبوا القرآن . . مع أنهم يعرفون أنه الحق . . وجعلوا كتابهم وهو التوراة وراء ظهورهم . . أى لا يلتفتون إليه . . حتى لايكون حجة عليهم بصدق القرآن . . واتخذوا موقف من لايعلم . . وكأنهم لايعلمون ما جاء فى التوراة عن البشارة برسول الله . . ولايعلمون العقوبة على ذلك .

وجاء هؤلاء القوم ـ وهو اليهود ـ بما كانت تتلوه الشياطين أيام مُلْك سليمان . . وكأنهم يستعينون بما تلته الشياطين . . وأدخلته على منهج التوراة من كفر . استعانوا بهذا الكفر

والأكاذيب .. على عدم الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم .. فنزلت الآية الكريمة الخاصة بسليمان عليه السلام والشياطين وما استخدم من السحر .. لتفضح تغيير اليهود لمنهج الله .. حتى لايؤمنوا بالقرآن وبرسول الله صلى الله عليه وسلم ..



الشياطين علموا السحر للناس

ولقد اتهم اليهود نبى الله سليمان عليه السلام .. بأنه كفرَ وكان يستخدم السحر .. فبرأ القرآن الكريم سليمان عليه السلام من هذه التهمة الكاذبة .. فقال جل جلاله :

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

إذن فالسحر نزل إلى الأرض .. قبل مجىء سليمان بوقت طويل .. والشياطين أشاعته بين الناس .. لتفسد فى الأرض .. ولكن هل تستطيع الشياطين أن تعلم الإنسان السحر وتشيعه بين البشر ؟ .

الشياطين توسوس للناس بالشر .. والشياطين توحى لأوليائها .. أى تخبرهم ولكن بخفاء .. لينشروا الكفر والإلحاد فى الأرض .. وهم يتصلون بأوليائهم من البشر بنوع من الإخبار الخفى الذى يسمى وحيا .. دلالة على أنه إعلام بخفاء .. لا يفهمه ولايدركه إلا من يُوحِى أو يُوحَى إليه .. والحق سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

(من الآية ١٢١ سورة الأنعام)

والله سبحانه وتعالى يخبرنا فى القرآن الكريم . . كيف توحى الشياطين إلى أوليائهم . . فيقول جل جلاله :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾.

(الآية ٣٦ سورة الزخرف)

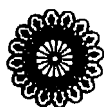
ويقول تعالى

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾

(الآية ٢٥ سورة فصلت)

والقرين هو الشيطان يوسوس للناس بالسوء ويحاول أن يدفعهم إلى طريق النار . . ولكل إنسان قرين يدفعه إلى هذا الطريق . . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

(ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين . قالوا حتى أنت يارسول الله . . قال نعم ، ولكن الله أعانني عليه فأسلم)





وقد يستغرب بعض الناس .. فى أن يُسَمَّى حديث الشياطين لأوليائهم وحيا .

ونقول إن الوحى معناه .. إعلام بشىء فى خفاء .. ولكى نبسط هذا المعنى .. نقول : انه لو جاءك ضيف ثقيل .. لاتريد أن تقابله .. فإنك تتفق على إشارة معينة مع ابنك أوخادمك .. وفى اللحظة التى يرى فيها الإشارة .. يفهم ويتخلص من الضيف ، وفى هذه الحالة يكون الإعلام قد تم بطريقة خفية .. لايفهمها إلا من أراد أن يقول .. ومن استقبل هذا القول .. والله سبحانه وتعالى يوحى للبشر .. مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾

(من الآية ٥١ سورة الشورى)

وقد أوحى الله سبحانه وتعالى للرسل البشر .. وأوحى إلى البشر العاديين .. فى قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾

(من الآية ٧ سورة القصص)

وأوحى إلى النحل فى قوله جل جلاله :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾

(من الآية ٦٨ سورة النحل)

وأوحى إلى الجماد فى قوله تعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾

(الآيات من ١ ـ ٥ من سورة الزلزلة)

إذن فالوحى يأخذ صورا مختلفة .. فالله يوحى للرسل ويوحى للملائكة .. ويوحى لغير الرسل من البشر .. ويوحى للنمل ويوحى للجماد .. ويوحى مايشاء لمن يشاء .. ولكن حين يطلق اسم الوحى كَعَلَمٍ .. يكون إعلاما من الله لرسول .





الحق سبحانه وتعالى .. حين أخبرنا بأن الشياطين ـ وهم مردة الجان ـ يوحون إلى أوليائهم .. وطلب منا ألا نطيعهم .. وإلا كنا مشركين .. يأتى هنا سؤال .. بماذا يوحى الشياطين لأوليائهم ؟ .

نقول : إن الشياطين فى الماضى كانوا يسترقون السمع فى السماء .. وكانت لهم مقاعد أو أماكن يتخذونها لاستراق السمع .. فيسمعون الأوامر التى تنزل إلى الملائكة .. لتبدأ أحداث وأشياء مهمتها فى الكون .. ويلتقطون هذه الأوامر ويسرعون بها إلى أوليائهم من الكهنة والسحرة .. بعد ان يزيدوا عليها خرافات وأكاذيب .. وأشياء تدعو الناس للكفر والمعصية .. بدلا من طاعة الله ..

وكان الذين يذهبون إلى هؤلاء الكهنة والسحرة .. يبهرونهم بذكر أشياء ستقع .. ويوهمونهم بذلك أن لديهم علما صحيحا .. فإذا صدقوهم دعوهم إلى الكفر .. وافتروا على الله .. بأن وضعوا فى كتبه أشياء لم يأمر بها سبحانه وتعالى .. وبدلوا وغيروا حسب هواهم .

لكن عندما جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .. منع الله سبحانه وتعالى الشياطين من استراق السمع .. وأصبح

مستحيلا على الشياطين .. أن تتدخل فى منهج الحق .. أو تسترق السمع فى السماء وإلا أحرقت بالشهب .. ويروى لنا القرآن الكريم ذلك فى سورة الجن :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾

(الآيتان ٨ و ٩ سورة الجن)

وهكذا كانت الشياطين تسترق السمع .. وتفسد فى مناهج الله فى الأرض لتنشر الكفر والضلال .. فلما جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .. وضع الله تبارك وتعالى حرسا شديدا من الملائكة .. وإذا اقترب أى شيطان يجد شهبا مرصودة له تنطلق إليه لتحرقه .. وهكذا حفظ الله دينه وقرآنه من عبث الشياطين .

وأن سليمان عليه السلام هو النبى الوحيد الذى حكم الجن والشياطين .. وخضعت له بقدرة الله جل جلاله .. ولذلك كان قادرا على أن يجمع كتب السحر وتمائمه .. وان يعذب من يعصى من الشياطين .. فقد دعا سليمان ربه أن يؤتيه بجانب الرسالة مُلْكاً لم يحصل عليه أحد قبله .. ولايحصل عليه أحد بعده ..

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾

(الآيات من ٣٥ ـ ٣٨ سورة ص)

وهكذا نعرف أن سليمان عليه السلام . . أوتى مُلْكاً لم يؤته نبى قبله ولابعده . . وأن من بين ماسخره الله له . . الشياطين تبنى له الأبنية الهائلة . . وتقوم له بالأعمال الشاقة التى لايقدر عليها البشر . كما سخر له طائفة من الشياطين الغواصين فى البحار يستخرجون له مايشاء من اللآلىء والأشياء النفيسة . . وفريق آخر مقيدون بالسلاسل والأغلال . . وهؤلاء الذين تمردوا على ملك سليمان . . فأمكنه الله منهم فقيدهم بالسلاسل والأغلال .



وليس من المستغرب .. أن يكون سليمان نبيا ومَلِكا فى نفس الوقت .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم .. خيره الله أن يكون عبداً رسولاً .. أونبيا مَلِكا يكون له مُلك عظيم .. ولكنه اختار أن يكون عبدا رسولا .. لأن هذه المنزلة أرفع عند الله عز وجل ..

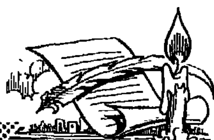
وفى عهد سليمان عليه السلام .. كانت الشياطين تستخدم فى السحر وإيذاء الناس .. وعرف سليمان الأمر .. فجمع كتب السحر ، ويقال إنه دفنها فى مكان فى الأرض ليمنع عن الناس الأذى .. ويقال إنه دفنها تحت عرشه .

فلما مات سليمان .. دلت الشياطين بعض الناس على مكان هذه الكتب .. وادعت الشياطين ان سليمان .. سخر الجن والإنس والريح .. وكل مافى الكون بواسطة هذه الكتب .. وأن من يقرأها يخضع له الكون ويصبح طوعا لمشيئته .. وهذا كفر .. سليمان برىء منه .

إن سليمان سُخر له الكون بقدرة الله سبحانه وتعالى وليس بالسحر .. والشياطين أرادوا أن يوهموا الناس .. أن السحر هوالذى يفعل هذا .. حتى يكفروا بالله سبحانه وتعالى .. ويؤمنوا بقدرة السحر ..

لهذا .. فإن كل من آمن بقدرة السحر كافر . . وكل من مارس السحر كافر . . وسليمان عليه السلام برىء من تهمة الكفر . . وقد برأه الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم .





إذن .. الشياطين أوحت إلى أوليائها من الإنس .. أن سليمان إنما أعطى من الملك مالم يعط أحد غيره بفضل ما تعلمه من السحر .. وهذا كما قلنا قول باطل .. فسليمان أُعْطِىَ مُلْكَهُ بأمر الله سبحانه وتعالى .. وقد تلقى نعمة الله بالعرفان والشكر .. وكان سليمان يفهم منطق الطير .. ولغة النمل .. وتسبيح الجبال .. وفى ذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(الآيتان ١٨ و ١٩ سورة النمل)

وهكذا نرى أن سليمان عرف أن كل ما أوتيه .. **وكل** تسخير الأجناس له ، إنما هو من الله سبحانه **وتعالى**

وبقدرته . . وشكر الله على نعمته . . وطلب منه تبارك وتعالى أن يوفقه لصالح الأعمال .

والحق سبحانه وتعالى . . فى إعطائه مُلْكاً لسليمان لم يعطه لبشر . . انما يريد أن يلفتنا إلى حقيقتين هامتين . . الحقيقة الأولى: هى طلاقة قدرة الله فى كونه . . فالله تبارك وتعالى خلق أجناسا أخذت من عناصر خلقها . . ما جعلها أكثر قدرة وقوة عن أجناس أخرى . . ولكنه جل جلاله يريد أن يلفتنا إلى أن كل شىء بقدر منه .

انه هو الخالق الأعظم . . يستطيع أن يسخر من القوى ذات القدرة العالية . . لتكون فى خدمة من هم أقل منهم قدرة وقوة بحكم عناصر خلقهم .

لقد سخر لسليمان ما لايستطيع سليمان ببشريته أن يسخره لنفسه . . وجعله فى خدمته ويأتمر بأمره ويفعل له مايشاء . . حتى نعرف أن أحدا لم يحصل على ميزة أو قدرة بذاته . . ولكن كل قوة أوقدرة يحصل عليها مخلوق . . هى من الله سبحانه وتعالى

ثم يريد الحق جل جلاله أن يلفتنا أيضا إلى أن ما حصل عليه سليمان . . ليس بقدرته ، ولكن من الله . . فيعطى لمن هم فى مملكة سليمان علما أكثر من علم سليمان نفسه ! .

لقد روى القرآن الكريم ماحدث بين سليمان والهدهد حين تفقد ملكه . . ووجد أن الهدهد ليس حاضرا وتوعده

بالعذاب .. فلما جاءه الهدهد ؟ ماذا قال ؟ اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة النمل)

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى أعطى للهدهد ـ وهو من جنود سليمان ـ من العلم مالم يعطه لسليمان نفسه .. لنعرف أن كل علم هو من الله جل جلاله .. وأننا لا نملك شيئا إلا ماشاء الله .. فسليمان الذى آتاه الله كل هذا الملك .. غاب عنه ما علمه الهدهد .. كذلك موسى عليه السلام كليم الله ورسوله .. ألم يذهب إلى الرجل الذى أعطاه الله علما .. وطلب موسى أن يتعلم منه .. مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

(الآيتان ٦٥ و ٦٦ سورة الكهف)

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد أعلمنا بهذا .. فإنما لنعرف يقينا أن كل شىء هو من عند الله .. وأن طلاقة قدرة الله فى الكون هى التى تحكم ، وليست قدرات أى مخلوق من مخلوقات الله ، مهما كان مقربا إلى الله سبحانه وتعالى .. حتى نعرف يقينا أن القوة والقدرة جميعا لله ..

والحقيقة الثانية . . التى يريد الحق سبحانه وتعالى ان يلفتنا إليها . . هى أنه جل جلاله . . بعث أنبياء ورسلا عبادا . . فخالفهم من خالف . . وقاومهم من قاوم من قوى الشر . . وكفر بهم من كفر . . وكل هذا لم يحدث كنوع من التمرد على إرادة الله جل جلاله . . وانما حدث تمردا على منهج الله بما أعطاه الله لنا من حرية اختيار فى اتباع منهجه .

لقد أرسل الله رسلا بشرا . . وأرسل رسولا ومَلِكاً هو سليمان . . أعطاه ملكا لم يعطه لبشر . . وجعل الطاعة له كطاعة الملوك . . فيها الرغبة وفيها الرهبة . . وأعطاه القدرة ليعذب من يخرج على أوامره من الإنس والجن وغيره . . ولذلك هناك من آمن لسليمان عن رغبة . . وهناك من آمن خوفا من عذاب سليمان .

ألم يقل سليمان حين تفقد ملكه ولم ير الهدهد من الحاضرين :

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾

(الآية ٢١ سورة النمل).

إذن فالحق سبحانه وتعالى .. قادر على أن يرسل نبيا ويعطيه المُلْك .. فيخضع الناس بسلطان القوة ليؤمنوا .. كما أنه جل جلاله قادر على قهر خلقه على الإيمان .. مصداقا لقوله سبحانه :

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾

(الآية ٤ سورة الشعراء)

وهكذا يريد الحق سبحانه وتعالى .. أن يلفتنا إلى أنه قادر على أن يجعل الناس يؤمنون عن رهبة .. بأن يرسل نبيا ويعطيه الملك .. إنه قادر على أن يقهر كل خلقه على الإيمان .. ولكنه سبحانه وتعالى يريد من عباده .. أن يدخلوا دين الله عن حب ورغبة فى الإيمان ..

إن الله أرسل الرسل كلهم عباداً له .. ليأتيه الناس عن حب فى الإيمان .. وأرسل نبيا وأعطاه الملك .. ليعرف الناس أنه جل جلاله .. قادر على أن يقهر الناس على الإيمان رهبة من صولجان الملك .. لنعرف أن الله سبحانه وتعالى قادر على القهر .. ليعرف البشر أنه لا إرادة فى هذا الكون إلا ما شاء الله .. وأن الله سبحانه وتعالى إذا اختار شيئا .. فإنه جل جلاله لايعجزه شىء .. وأن اختياره الرسل من البشر الذين لايتميزون بالْمُلْكِ أو بغيره من قوى القهر .. كان لحكمة من الله الحق تبارك وتعالى .. هى أن يكون الرسول عبداً

يدعو إلى الإيمان فيأتيه الناس عن حب واختيار لا عن قهر وإذعان .

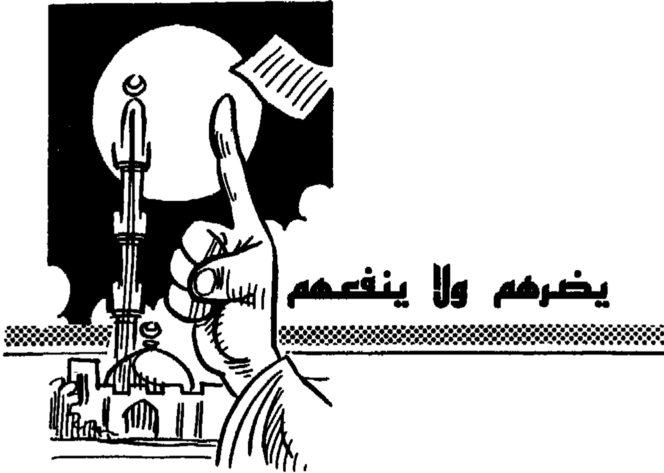
إلى هنا نكون قد وصلنا . . إلى أن الحق سبحانه وتعالى . . هو الذى أنزل علم السحر . . وأنه أنزله ليفتن به الناس فيكون اختباراً للإيمان . . وأنه نزل به ملكان هما هاروت وماروت . . وأن هذين الملكين قاما بأداء مهمتهما . . كما أمرهما بها الله سبحانه وتعالى . . فعلما من عَلَّمَاهُ من البشر ، ثم حذرا بأن السحر فتنة . . وأنه يؤدى إلى الكفر والعياذ بالله .

وأن كل ما يقال من أن سليمان عليه السلام . . قد أخذ ملكه عن طريق السحر . . وبقوة السحر . . كذب وكفر . . فالقوة جميعا لله سبحانه وتعالى . . وكل قوى الأرض لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا . . ولا حياة ولا بعثا . . إلا ما أراده الله . . وأن الشياطين ـ الذين هم مردة الجن الخارجين على منهج الله ـ كانت لهم مقاعد فى السماء يستمعون منها إلى ما ينزل إلى الأرض ليباشر مهمته فى الحياة . . وكانوا يستغلون هذا السمع مع أوليائهم من الكهنة والسحرة . . ليغيروا فى منهج الله وينشروا الكفر بدلا من الإيمان

بقى سؤال هام . . هو :

كيف يفرق السحر بين المرء وزوجه ؟ وكيف يحدث الضر بالناس ؟ وكيف أن السحرة هم أول من يضره السحر ؟

الفصل الرابع



يضرهم ولا ينفعهم

إذا كنا تحدثنا عن السحر .. وكيف أن العين
هى التى تُسْحَر .. ويتخيل الإنسان أشياء
لا وجود لها .. وأن السحر لا يغير حقيقة ..
ولا يبدل شيئا .. وأن الساحر يُدخل الرهبة
فى نفس المسحور .. ويجعله يتخيل
أشياء .. ثم بعد ذلك تخضع إرادته
للساحر .. وتجعله يفعل ما يريده منه .

فلابد لنا ونحن نتحدث عن ذلك .. أن نسأل أنفسنا : إذا كان السحر بهذه الصورة التى وصفها لنا القرآن الكريم .. فكيف يفرق بين المرء وزوجه ؟ .. وكيف يحدث الضرر منه .

القرآن الكريم قال :

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

وبداية فنحن نقول .. أنه من الخير للبشر جميعا ألا يتعلموا السحر .. وألا يُفتنوا به .. لأنه لا ينفعهم ولكنه يضرهم .. وضربنا مثلا بالذى يملك سلاحا وسط قوم لا يحملون أسلحة .. إن هذا التميز يجعله يطغى .. ويغريه بالظلم والفساد .. وإذا كان السحر علما يجعل الإنسان يسخر الجن

لخدمته . . فقد يقول قائل : أنا سأتعلم السحر ، ولكن لن أستخدمه إلا فى الخير .

نقول لمثل هذا الإنسان : أنت تقول هذا وقت هدوئك . . وحبك لهذا النوع من التعلم الذى يعطيك ميزة فوق غيرك من البشر . . ولكن هل تضمن نفسك . . إذا امتلكت هذه القدرة . . ألا تستخدمها فى الطغيان ؟ .

لنفرض أن شبابا طلب من ولى أمره أن يشترى له مسدسا . . ولكن ولى الأمر رفض الطلب . . قد يعتبر الشاب عدم إجابة طلبه . . أن ولى أمره لا يريد له الخير . . ولكن الحقيقة أن ولى الأمر لا يريد له إلا الخير . . لأنه يعلم جيدا أن هذا الشاب لا يملك نفسه لحظة الغضب . . وإذا كان الحق سبحانه وتعالى قال :

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

فقد حكم الحق جل جلاله بأن السحر لا ينفع . . فلا يأتى أحد ليقول أننى سأتعلم السحر لأستخدمه فى الخير . . لأن علم الحق جل جلاله الذى هو فوق علم البشر . . قد حكم بأنه لا يأتى من السحر إلا الضر . . ولا يأتى منه نفع .

ولذلك فإذا جاء أحد يدعى غير ذلك . . نقول له كذبت . . إنك تريد أن تحصل على ميزة لتطغى بها . . لأن الله سبحانه

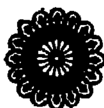
وتعالى . . قد حكم بأن السحر يضر ولا ينفع . . فلا تحاول الخداع بهذا الكلام . . وأنت تتعرض بذلك لفتنة تعرضك للكفر .

إننا نجد كل من يمارس السحر نهايته بغيضة . . فيموت فقيرا ذليلا مذموما ومكروها من الناس .

وإذا تتبعت حياة أولئك الذين يقومون بهذه الأعمال . . فنهايتهم كلها شر . . وقد حذرنا الحق سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم من ذلك . . وأنبأنا بمصير من يستعينون بالجن . . ويستخدمونه ليتميزوا على غيرهم من البشر . . أو يخيفونهم بالضر . . فقال جل جلاله :

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾

(الآية ٦ سورة الجن)



الاستعانة بالجن لا تأتى بالخير

إذن الاستعانة بالجن . . لا تأتى للإنسان بخير أبدا . . بل إنها لا تُسْلِمُهُ إلا للشر .

ولعلنا لو نظرنا إلى من يمارسون السحر . . نجد أنهم رغم استعانتهم بالجن . . فإن كل من حولهم مفضل عليهم . . فهم يبحثون عن الرزق مع من لا يمارسون السحر . . ولا يتعاملون مع الجن . . فلذلك فهم اليد الأدنى . . التى تأخذ وتتحايل على طلب المال من عباد الله الذين لا يمارسون أى نوع من السحر .

ولو كان الذين يمارسون السحر يفعلون ما يحقق لهم خيرا . . لكفوا أنفسهم شر الحاجة أولا . . ولا استطاعوا أن يعتمدوا على أسبابهم فى سبيل رزقهم .

ولكن الله سبحانه وتعالى . . أراد أن يرينا فيمن يمارسون السحر . . انهم وهم يستعينون بقوة أقدر بعنصر خلقه الله من غير عنصر الإنسان . . إلا أنهم أذلاء لكل من حولهم . . يبتغون عندهم الرزق .

إذن لا يستطيع أحد أن يدعى أن الاستعانة بالجن فيها نفع . . واستخدام أى أمر سواء كان سحرا . . أو سلاحا

أو كلمة فى غير منهج الله . . لابد أن يضر الإنسان . . وإذا كان الضرر يحدث للبشر . فى الخروج عن منهج الله فى الأمر المادى . . فالضرر أيضا يحدث . . فى الخروج عن منهج الله فى الأمر الغيبى .

ومطلوب الإيمان أن يسخر الإنسان . . كل علم يتعلمه لخدمة منهج الله . . وهذا يحدث إذا التزمنا بالعلم المحدد .
وإذا كانت الفتنة قد أوجدها الله سبحانه وتعالى . . اختبارا للإيمان الإنسانى . . فلابد لنا جميعا أن نبتعد عن إغرائها . . لأن من يحوم حول الحمى يقع فيه .

والفتنة قد تأخذ شكلا ماديا حسيا . . كالفتن التى نعرفها فى المرأة والمال والولد وغير ذلك . . وقد تأخذ شكلا غيبيا كالسحر . . وكلاهما لابد أن نبتعد عنه . . لأنه إغراء لا يأتى منه إلا الشر . . ولا يصيبنا بخير أبدا .

فإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم . . أن يبلغنا أن السحر فتنة تقود إلى الكفر . . فنحن نصدق ما أنزله الحق سبحانه وتعالى على رسوله الصادق الأمين . . ولابد أن نبتعد عن الفتنة . . وعن كل ما يؤدى إليها . . ونبتعد كأمر واجب عن تعلم السحر .

فإذا كان غير ظاهر لنا ـ بشكل مادى مُحس ـ كيفية الفتنة التى يمكن أن تحدث . . فإننا نعرف أن حصول الإنسان . . على فرصة أكبر من غيره من البشر . . لن يقدر على نفسه . .

ولن يتعلم شيئا مفيدا . . بل سيتعلم ما يضر به غيره ويضر به نفسه .

وإذا نظرنا إلى الذين يستخدمون السحر . . فسنجد هيئة كل منهم مليئة بالإرهاق . . ورزق كل منهم فى هبوط . . إن أحدا من السحرة لا يمكن أن يسخر ما يعرفه من سحر لمنفعته . . وهذا يكفينا كدليل على أن السحر شر . . وليس خيرا . . وضرر وليس نفعا . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾

(من الآية ٧٧ سورة يونس)

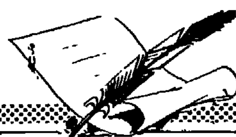
وقال جل جلاله :

﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾

(من الآية ٦٩ سورة طه)

ولا يأتى فلاح ولا نفع من السحر أبدا . . أى لا شىء يأتيه الساحر ويحقق فلاحا أبدا .





إذن فالضر أو الضرر . . هو الذى يتحقق من السحر ، والضر له ألوان مختلفة . . وأشكال لا حصر لها . . فأى ضرٍّ هو الذى يتحقق . . وما دام السحر غيبا عنا . . فاننا نأخذ ما أخبرنا به الله تبارك وتعالى . . ورسوله صلى الله عليه وسلم عن هذا الضر . . وأول شىء جاء فى القرآن الكريم . . هو التفرقة بين المرء وزوجه .

والتفرقة بين المرء وزوجه . . يمكن أن يتم بأمور مادية . . ألا يوجد فى الحياة العادية من البشر الذين لا يراعون منهج الله . . من ينقل كلمة هنا وكلمة هناك فيفرق بين الزوجين ؟ . . يوجد ونحن نشهد ذلك . . فإذا كان ذلك يحدث فى الأمور المادية . . فإنه يحدث أيضا فى الأمور الغيبية .

لقد عرفنا أن شياطين الجن . . تستطيع أن تتشكل بأشكال مختلفة . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم . . كاد يربط الشيطان فى سارية المسجد . . بعد أن تشكل فى شكل إنسان . . فحكمه قانون البشر . . ذلك أنه من رحمة الله ـ كما قلنا ـ أن الشيطان إذا تشكل بشكل ما ، حكمه قانون الشكل الذى تشكل به . . بحيث إذا تشكل فى شكل إنسان أو حيوان

وأطلقت عليه الرصاص قُتل .

نقول إذا كان هذا هو الأمر . . فما المانع أن يتشكل شيطان من الجن على شكل قبيح على وجه امرأة . . فإذا نظر إليها زوجها لا يطيق النظر إليها . . وما المانع أن يتشكل شيطان من الجن . . على شكل قبيح على وجه رجل . . عندما تنظر إليه زوجته فلا تطيق النظر إليه . . إن هذا ممكن الحدوث .

فى هذه الحالة كلما نظر المرء إلى زوجته . . وجد وجهها بشعا فنفر منها . . والعكس يمكن أن يكون صحيحا ، فكلما نظرت الزوجة إلى زوجها . . وجدت منظره قبيحا لا يطاق .

هذا هو أحد الإمكانات للتفريق بين المرء وزوجه . . وهناك أشياء لا نعلمها لأن الأمر غيب عنا . . ولكننا نعلم أنه من السهل . . أن يفرق بين المرء وزوجه كما أخبرنا القرآن الكريم .

وقد تكون هناك أنواع أخرى . . من الضر تقع من السحر . . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . إن الشيطان يجرى فى الإنسان مجرى الدم . . بعض الناس يستعجب من هذا الحديث . . ويقول كيف يجرى الشيطان من الإنسان مجرى الدم ؟ .

نقول إن هناك أشياء كثيرة . . تجرى من الإنسان مجرى الدم . . وكلها أشياء مادية لم نعرفها إلا حديثا . . بل ان فى مجرى الدم بجانب هذه الأشياء . . معملاً كبيرا للكرات

البيضاء مثلا . . إذا دخل جسم غريب إلى الدم . . فإنها تحدد جنسه ثم تضع له من المواد ما يقتله . . وتدور حرب بين الميكروب والكرات البيضاء داخل الدم . . حتى يتم القضاء على الجراثيم أو الميكروبات .

بل إننا نقول إن الجراثيم . . ـ وهى مخلوق مادى ليس له من شفافية المادة ما للشيطان ـ تستطيع أن تخترق الجسد البشرى . . دون أن يحس بها الإنسان . . وأن تدخل إلى مجرى الدم . . وتعيش فيه وتتوالد وتتكاثر .

فإذا كان هذا ممكنا بالنسبة لمادة مخلوقة من طين . . ألا يمكن أن يكون هذا ممكنا . . لمادة أكثر شفافية من الطين ؟ .

إن الذين يستغربون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . يتجاهلون ما كشفه العلم الحديث . . وما سيكتشفه عما يجرى من الإنسان مجرى الدم من مواد كثيرة . . نستطيع بأى تحليل دقيق للدم أن نحدد بعضها . . فإذا هى عشرات الأنواع .



لا يوجد كيف فى أمور الغيب

على أن الحق سبحانه وتعالى .. له أمور غيبية .. لا يمكن أن نقول فيها كيف ؟ .. فالغيب هو الله .. ففى الأمور المادية يمكن أن نسأل كيف ؟ .. فنسأل مثلا كيف يتكون الماء ؟ .. فتكون الإجابة تجربة عملية .. يتم فيها مزج ذرتين من الايدروچين .. بذرة من الأكسوچين فيتكون الماء .

إذن فنحن فى العلم التجريبى المادى .. نستطيع أن نسأل كيف ؟ .. وإن كنا لا نستطيع أن نسأل لِمَ يحدث هذا ؟ .. لأن الجواب هنا .. سيكون بأن هذه خصائص وضعها الحق تبارك وتعالى فى كونه .. أما فى أمور الغيب .. فلا أحد يستطيع أن يسأل كيف يحدث هذا .. وقد سأل إبراهيم الخليل عليه السلام ربه قائلا :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام .. طلب من الله سبحانه وتعالى .. أن يريه كيف يحيى الموتى .. وإحياء

الموتى غيب عن البشر . . والسؤال كان . . كيف ؟ . . أى بالكيفية . . فهل أخبره الحق سبحانه وتعالى كيف يحيى الموتى ؟ . . لقد أجرى جل جلاله أمامه تجربة . . تثبت طلاقة قدرة الله فى إحياء الموتى . . قال جل جلاله :

﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

كانت هذه هى التجربة التى تمت أمام إبراهيم عليه السلام . . فقد أخذ أربعة من الطير وقطعهن . . ووضع على كل جبل جزءا . . ثم دعاهن وإذا بالطير تأتى أمامه ما شية على أقدامها . . حتى يتأكد من أنها هى الطير التى مزقها . . وأنها لم تأت من مكان آخر طائرة ويختلط عليه الأمر .

ولكن . . هل قال له الله سبحانه كيف ؟ . . هل أطلعه على الكيفية ؟ . . لا . . لأن كيف لا تقال مع الغيب . . فإذا سأل واحد كيف يحدث الضر مع المسحور ؟ . . نقول إن الحق سبحانه وتعالى قد أخبرنا أمورا وغيَّب عنا أمورا . . أخبرنا سبحانه وتعالى . . بأنه يخيل للمسحور أنه يرى أشياء أمامه لا تمثل الحقيقة . . مثلما رآى الناس حبال سحرة فرعون وعصيهم . . وكأنها حيات ضخمة تسعى .

هذا التخيل أو التصور . . أدخل الرعب فى نفوس

المشاهدين . . وجعل إرادتهم مستجيبة للساحر . . والخوف الذى يملأ نفوسهم . . قد نزع كل مقاومة منهم . . ولذلك أصبحوا يرون ما يريدهم الساحر أن يروه . . بدليل أنهم رأوا الحبال والعصى حيات . . ولا يرون مالا يُريدهم الساحر أن يروه . . بدليل أنهم لم يروا أن الحبال والعصى بقيت كما هى ولم تتغير حقيقتها .

هذا واقع رواه لنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم .

أما التفرقة بين المرء وزوجه . . فإن الله تبارك وتعالى . . قد أخبرنا أنها يمكن أن تحدث بالسحر . . ولكنه لم يبين لنا ماهى الطرق التى تحدث بها . . كما أخبرنا الحق جل جلاله . . أن الضرّ يحدث بالسحر . . ولكنه لم يخبرنا سبحانه عن كيفية حدوثه . . ولولا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما علمنا أن الشيطان يجرى فى الإنسان مجرى الدم .





على أن بعض الناس . . يعتقدون أن السحرة يعرفون الغيب . . وهذه هى مهنة الدجالين . . الذين يحاولون أن يوهموا الناس . . أنهم يستطيعون أن يكشفوا لهم الغيب . . ولكن هذا غير صحيح .

ولكى نفهم القضية . . فلابد أن نعرف أن هناك غيبا نسبيا وغيبا مطلقا . . الغيب النسبى هو ما غاب عنى وعَلِمه غيرى . . سُرق منى شىء مثلا . . من هو السارق ؟ . . هذا غيب عنى لا أعرفه . . وقد لا تعرفه الشرطة أيضا . . ولكن السارق يعرف أنه سرق . . والذى أُخفِيَت عنده المسروقات يعرف من السارق . . وربما الذى بيعت له المسروقات . . يعرف أيضا من السارق .

وإذا قلنا أن وزيرا قد وقع قرارا بترقيتى إلى وظيفة أعلى . . هذا أمر غيبى عنى . . وأنا لم أعلم أنه تمت ترقيتى . . ولكن الوزير يعلم لأنه أصدر القرار . . ومدير مكتبه يعلم لأنه أخذ القرار لينسخه . . وعامل المطبعة أو المكلف بنسخ القرار يعلم ، لأنه قام بعملية النسخ . . إذن فهذا غيب نسبى . . لأنه غيب عنى ، ولكنه ليس غيبا عن غيرى . . هذا الغيب يمكن يعرفه الإنس والجن .

وهناك أيضا غيب ماض .. شيء قد حدث وانتهى .. هو غيب عن بعض الناس .. ولكن صاحبه ومن شهده يعرفونه .. ولذلك فهو أيضا غيب نسبي .. أيضا الغيب الذى وقع منذ فترة طويلة ومات كل من شهدوه .. هو غيب نسبى لأننا قد نعثر على وثائق أو آثار .. تكشفه لنا وتحكى لنا قصته .

أما الغيب المطلق .. فهو الذى لا يعرفه أحد إلا الله جل جلاله .. مصداقا لقوله تعالى :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾

(الآية ٢٦ سورة الجن)

قد يقول بعض الناس .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد أخبرنا بأشياء كانت غيبا ثم وقعت .. نقول : أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام عُلِّم الغيب .. أى أن الله سبحانه وتعالى .. أخبر رسوله بما شاء له أن يعلم من أنباء الغيب .. وما أخبره به الله جل جلاله .. أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم .. والقرآن الكريم يدلنا على ذلك .. فى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

(من الآية ٥٠ سورة الأنعام)

إن الله يطلب من رسوله صلى الله عليه وسلم .. أن يقول للناس جميعا .. أنه لا يعلم الغيب .. ولكن الله أنبأه من أنباء الغيب ما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجن لا يعلمون الغيب

ولقد عرفنا من القرآن الكريم .. أن الله عز وجل عندما بعث محمدا عليه الصلاة والسلام .. عصم أمة محمد من أن يسترق الشيطان السمع للقرآن الكريم وهو ينزل من السماء .. كما منعت الشياطين من أن تسترق السمع .. إلى الأقدار وهى تنزل إلى الأرض لتؤدى مهمتها فى الحياة .

وهكذا عُزل الشياطين تماما عن أن يسترقوا السمع .. أو تكون لهم مقاعد فى السماء يستمعون منها .. ولم يبق من السحر بعد نزول القرآن الكريم .. إلا ما علمه الملكان هاروت وماروت .. والله سبحانه وتعالى .. قد أبقى هذا الجزء من السحر فتنة فى الأرض .

إذن الشياطين لا يعلمون الغيب حتى يستطيعوا أن يبلغوا به السحرة أو الكهنة .. والشياطين فى الماضى لم يكونوا يعلمون الغيب المطلق .. والقرآن الكريم يدلنا على ذلك فى قصة موت سليمان عليه السلام ..

ولنقرأ الآيات الكريمة التى ذكرت عن موت سليمان عليه السلام :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ

تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿

(الآية ١٤ سورة سبا)

فى هذه الآية الكريمة . . يخبرنا الله سبحانه وتعالى . . أن سليمان عليه السلام جينما مات كان متوكئا على عصاه . . فأبقى الله سبحانه وتعالى موت سليمان غيبا عن الجن والإنس . . فظلت الجن تعمل ما طلب منها سلئمان تنفيذه قبل موته . . حتى سلط الله تبارك وتعالى ذابة الأرض وهى الأرضة . . أو ما نسميه نحن السوسة . . فظلت السوسة تأكل عصا سليمان . . حتى ضعفت العصا ولم تعد تستطيع أن تتحمله فسقط على الأرض .

وحينئذ فقط علمت الجن أنه قد مات منذ فترة طويلة . . وكان ذلك ليعلم الجن والإنس . . أن الجن لا يعلمون الغيب .

لقد كان الجن يوهمون الناس بأنهم يعلمون الغيب . . ويخبرونهم بأكاذيب لا تتحقق . . وكان عدد من الإنس يصدقونهم . . ويصدقون أكاذيبهم عن الغيب وما يأتون به . . من إضافات لمنهج الله تؤدى إلى الكفر .

وهكذا يتبين لنا من القرآن الكريم . . أن الجن على اطلاقهم لا يعلمون الغيب . . وأن مردة الشياطين مهما علوا

فى قوتهم .. فإنهم لا يصلون إلى علم الغيب ..

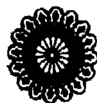
لقد كانوا قبل نزول القرآن الكريم .. يسترقون السمع من السماء .. ولم يكن هذا علما بالغيب ، بل كان استراقا لسمع قد يحيط بشيء ، ولكن تغيب عنه أشياء .. وعند نزول القرآن مُنِعُوا تماما من استراق السمع .. ولم يبق لهم من السحر إلا ما يصيب الناس بالضرر .. مما علمه الملكان هاروت وماروت .

إذن فادعاء السحرة أو الدجالين أو المنجمين .. بأنهم يستطيعون أن يخبروا بالغيب .. أو يعرفوا الغيب .. هو ادعاء باطل لا أساس له .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كذب المنجمون ولو صدقوا) أو (ولو صدفوا) .

ولقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. عن أن نصدق المنجمين والعرافين أو نجلس إليهم .. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ان السحرة والعرافين كهان العجم ، ومن جلس إلى كاهن يؤمن له بما يقول ، فقد برىء مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم .

والشياطين والجن قد تعرف الغيب النسبى .. بحكم خفة حركتها وسرعة انتقالها من مكان إلى آخر .. وكما قلنا إن الغيب النسبى هو الذى لا أعلمه .. ولكن غيرى من البشر يعلمه .. ولكن الجن والشياطين لا يمكن أن تعرف الغيب المطلق .. وكل ما يقال عن ذلك غير صحيح .. والدجالون

والعرافون هم الذين يحاولون إيهام الناس بذلك . . ليبتزو أموالهم . . وما هذا الادعاء فى أساسه إلا تحايل على الرزق . . والإنسان إذا تتبع الدجالين أسلمته الشياطين إلى بعضها البعض . . حتى يكفر .



وبعض الدجالين يدعى أنه يستعين بالجن .. عن طريق عزائم ورقى .. ونحن نقول إن الاستعانة هنا هى بالشياطين وهم مردة الجن الكفرة المتمردين على منهج الله .

ويقال إن هذه العزائم والرقى لابد أن يكون فيها ألفاظ الكفر .. حتى تعين الشياطين العراف أو الساحر .. ونحن نقول إن هذا الادعاء لسنا مطالبين أن نناقشه .. لأن كل دجال وكل عراف يدعى ذلك وأكثرهم كاذبون .

على أن هناك من يسأل عن السحر الذى يمارس فى بلاد الهند وغيرها .. من أولئك الذين قد يأتون بطفل يذبحونه أمام الناس .. ثم يعود سليما معافى .

نقول إن هذا السحر .. هو من نوع التخيل الذى أخبرنا عنه القرآن الكريم .. وكما جعل السحر الناس ترى حبال السحرة وعصيهم كأنها حيات تسعى .. فكذلك الذين يأتون هذه الأعمال .. يسحرون أعين الناس ويرهبونهم .. ويجعلونهم يرون ما يريده الساحر .. من غير الحقيقة وكأنه حقيقة .

ولقد أخبرنا الله تبارك وتعالى بالنسبة لسحرة فرعون بسر ما يراه الناس وهو غير حقيقى وغير واقع .

إلى هنا نكون قد وصلنا . . إلى أنه من الخير للبشر جميعا ألا يتعلموا السحر . . لأن الحق سبحانه وتعالى قال : ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ . . وأن كل من يمارس السحر . . أو كل من يعلمه للناس . . أو يتعلمه تكون نهايته سيئة . . ويقل رزقه وتصيبه الشرور . . وأن السحر لا يأتى بأى نوع من النفع أو الفلاح . . بل على العكس . . وأن الشياطين والسحرة والكهنة لا يعلمون الغيب . . وكل ما يقال عن معرفتهم الغيب كذب وادعاء غير صحيح .

على أننا لابد أن نتعرض فى هذا الكتاب . . إلى موضوع يتحرج العلماء من التعرض له ويتحاشونه . . وهو موضوع اليهودى الذى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قد دارت أحاديث كثيرة عن هذا الموضوع . . ولكننا نقول أن ما حدث هو شهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . وليست شهادة عليه . . ولو أخذنا التفاصيل الدقيقة بالنسبة لما حدث . . والأشياء التى وقعت للأنبياء السابقين . . لكان الموضوع أكثر فهما . . وأقل إثارة للجدل .



الفصل الخامس





الرسول والسحر



إذا كنا سنتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسحر . . فلابد قبل أن نبدأ الحديث بأن نقول . . إن رسل الله جميعا من البشر . . وماداموا من البشر فإنه تحكمهم قوانين البشر . . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى حين يريد أن يظهر عجزخلقه أمام قوته وقدرته . . فإنه يمكنهم من رسوله . . ثم يعجزون أن ينالوا من الرسول .

فمثلا حين قرر قوم ابراهيم عليه السلام ان يحرقوه فى النار . . كان هذا محاولة لحرق رسول من رسل الله . . وكان من الممكن أن ينجو ابراهيم عليه السلام بعدة طرق . . أولها أن يخفيه الله عن أعين الكفار فلا يرونه . . أو يوحى إليه بمكان مخبأ أمين . . لا يصلون إليه ولا يخطر على بالهم . . أو أن يأتى به الكفار فينزل المطر فيطفىء النار وينجو ابراهيم عليه السلام . . ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الكفار يعثرون على ابراهيم . . وجعلهم يمسكون به ويلقونه فى النار . . وجعل النار مستعرة . . لاينزل عليها مطر ليطفئها . . ثم تمت المعجزة . . وقال الحق تبارك وتعالى :

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

(الآية ٦٩ سورة الأنبياء)

حدث هذا ليعرف الناس . . كل الناس . . أن ابراهيم عليه

السلام وضعه الكفار فى النار . . وأن النار لم تحرقه . . ولأن ابراهيم بشر يخضع لقوانين البشر . . فهو إذا ألقى به فى النار فلابد ان يحترق . . ولو كان مثلا ابراهيم مَلَكاً . . فقد كان من الممكن ألا تحرقه النار . . فخزنة جهنم من الملائكة . . والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾

(الآيتان ٢٩ و ٣٠ وجزء من الآية ٣١ سورة المدثر)

وهكذا نعرف أن الملائكة لا يحترقون بالنار . . ولذلك لو كان ابراهيم مَلَكاً . . لما كانت هناك معجزة . . فى أن يلقى فى النار ولا يحترق . .

وموسى عليه السلام نبى الله وكليمه . . أراده الله أن يخوض تجربة السحرة . . فجاء به ودربه على ما سيحدث . . دربه الحق سبحانه وتعالى على المعجزة وعلى السحر . . والمعجزة هى أن تتغير العصا إلى حية حقيقية . . أى تتغير طبيعتها من عصا إلى حية . . ولذلك عندما طلب منه الحق سبحانه وتعالى أن يلقى عصاه :

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾

(الآيتان ١٩ و ٢٠ من سورة طه

كان هذا تدريباً على المعجزة .. لأن العصا ستنقلب فى المعجزة عندما يلقيها موسى أمام السحرة إلى حية حقيقية .. وأراد الله سبحانه وتعالى ألا يفاجأ موسى بذلك .. وينزعج ويخاف ، فدربه على ما سيحدث .. ثم بعد ذلك دربه الحق سبحانه وتعالى .. على السحر الذى سيواجهه من السحرة .

يقول جل جلاله :

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾

(من الآية ٣١ سورة القصص)

وعلينا أن نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى « كأنها جان » .. أى أن العصا لم تنقلب إلى جان .. ولكن موسى عليه السلام رآها وكأنها جان .. وكان هذا تدريب على سحر السحرة .. الذين سيجعلون موسى يرى الحبال وكأنها حيات .





الحق سبحانه وتعالى درب موسى تدريبا عمليا .. قبل لقائه مع السحرة .. على كل ما سيتعرض له .. سواء معجزة تحول العصا إلى حية حقيقية .. أو السحر الذى سيتعرض له فى لقائه مع سحرة فرعون .. ولكن ماذا حدث عندما واجه موسى عليه السلام سحرة فرعون ؟ .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾

(الآية ٦٦ من سورة طه)

ولابد أن نلتفت هنا .. إلى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ يخيل إليه ﴾ .. أى أن موسى عليه السلام .. خُيل إليه أن العصى والحبال التى ألقاها سحرة فرعون .. قد تحولت إلى حيات .. أى أن السحرة سحروا عينى موسى .. حتى رأى الحبال والعصى التى ألقوها على شكل حيات .. ولم يرها حبالا وعصيا على حقيقتها .. ويؤكد هذا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾

(الآية ٦٧ من سورة طه)

أى أن موسى عليه السلام أحس بالخوف . . وهذا دليل على أن عينيه سحرتا . . ولو أنه كان يرى حبال وعصى سحرة فرعون على حقيقتها كحبال وعصي . . لما أحس بالخوف . . ولماذا يحس بالخوف وهو يرى أمامه حبالا وعصيا ألقيت . . وظلت كما هى دون أن تتغير طبيعتها . . لابد أنه رآها على الشكل الذى أراد سحرة فرعون أن يتخيلها عليها . . ولا يمكن أن يحدث ذلك . . ويتخيل موسى عليه السلام . . أن الحبال والغصى تحولت إلى حيات . . إلا أن يكون سحرة فرعون قد سحروا عينيه . ولأنه رسول الله . . ثبته الله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾

(الآيتان ٦٨ و ٦٩ سورة طه)

إذن فالحق سبحانه وتعالى . . حين سُحِرَتْ عينا موسى ، ثبته بالوحى . . وطلب منه ألا يخاف ويلقى عصاه لتتم المعجزة . . وقد حدث ذلك رغم تدريب الحق جل جلاله لموسى على كل ما سيحدث مع السحرة سواء معجزة تحول العصا إلى حية . . أو التخيل الذى سيحدث له .

وليس هذا عيبا . . فموسى بشر رسول . . وهو محكوم بقوانين بشريته ولكنه مؤيد من الله سبحانه وتعالى مثبت منه.



نأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فقد روى البخارى فى صحيحه) ١٠ / ١٩٢ . . ومسلم فى (صحيحه) : ٤ / ١٧١٩ عن عائشة رضى الله عنها قالت : سَحَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بنى زريق . . يقال له لبيد بن الأعصم . . قالت : حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشىء وما يفعله . . حتى إذا كان ذات يوم ـ أو ذات ليلة ـ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ثم دعا . . ثم دعا . . ثم قال يا عائشة . . أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه : جاءنى رجلان . . فقعد أحدهما عند رأسى . . والآخر عند رجلى . . فقال الذى عند رأسى للذى عند رِجْلَىَّ ـ أو الذى عند رِجْلَىَّ للذى عند رأسى : ما وجعُ الرجلِ ؟ . . قال مطبوبٌ . . أى مسحور . . قال : مَنْ طَبَّهُ ؟ قال : لبيد بن الاعصم . قال : فى أى شىء ؟ قال : فى مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ . وَجُفّ طلعة ذكرٍ . . قال : فأيْن هُو ؟ . . قال : فى بئر ذي أروان . . قَالَتْ فَأَتَاها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي أُنَاسٍ من أصحابِه . . ثم قال يا عائشة . . والله لكأنَّ ماءها نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ . . ولَكأنَّ نَخْلَهَا رُءوسُ الشياطين . . قالتْ : فقلتُ يارسولَ اللهِ أفلا

أَحْرَقْتَهُ ؟ . . قال : لا . . أَمَّا أَنا فقد عافاني الله وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ على الناسِ شراً . . فَأَمَرْتُ بِهاَ فَدُفِنَتْ) .

إلى هنا وينتهى الحديث الذى ورد فى البخارى ومسلم . . عما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . وقد أثار هذا الحديث جدلا كبيرا بين العلماء .

ونحن نقول . . المهم هو توثيق الحديث . . أما كونهم سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فلا شىء فى ذلك .: الله تبارك وتعالى تحدى الإنس والجن فى القرآن الكريم . . فقال عز وجل:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

(الآية ٨٨ من سورة الإسراء)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(الآية ٣٨ من سورة يونس)



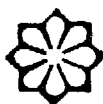
إذن فالتحدى فى القرآن الكريم هو للإنس والجن . . ماذا فعل الإنس ؟ . . وماذا فعل الجن ؟ . . الإنس قاوموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآذوه وعادوه . . وعذبوا المؤمنين وجاهروا بالعداء للدين . . وحاولوا منع الناس من الإيمان . . وتآمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم . . وأحبط الله أعمالهم فى كل هذا .

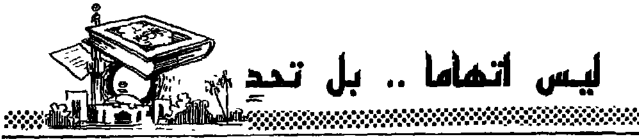
إذن الإنس فشل-سواء فى مجاهرته بالعداء والأذى . . أو فى تبييته وتآمره فى الخفاء .

بقى أن يستخدم الإنس قوة أخرى يستعين بها . . بشرط أن تكون أقوى من الإنس وأكثر قدرة . . أى أن هذه القوة التى يستعان بها لابد أن تكون من جنس آخر غير الإنسان . . لأن قوى الإنسان فشلت أمام مواجهة الدعوة لدين الله . . والتآمر على رسوله صلى الله عليه وسلم . .

وكانت هذه القوة هى قوة الجن . . فأراد الله عز وجل أن يتحداهم بفشل قوة الجن أيضا . . ليعرف الناس جميعا . . أن قوة الإنس لن تنال من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وأن قوة الجن لن تنال أيضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ماذا فعلوا ؟ . .

استعانوا بالسحر . . فدله الحق سبحانه وتعالى على أنهم سحروه . . وأرشده جل جلاله إلى مكان السحر . . وأبلغه عمن قام بسحره . . لتعرف الدنيا كلها . . أنهم لن يقدروا على محمد صلى الله عليه وسلم . . سواء جاهروه بالعداء . . أو أخفوا هذا العداء وتآمروا عليه لقتله . . أو استعانوا بجنس آخر هو الجن . . لأن الله سبحانه وتعالى الذى أرسله . . يكشف له ما يحدث ويبطل كيد الذين يتآمرون . . سواء كانوا إنسا أو جنا .





إذن كون محمد صلى الله عليه وسلم سحره اليهود . . هذا ليس اتهاما ضده . . ولكنه تحد للإنس والجان بأن يفعلوا أقصى مايستطيعون ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . والله جل جلاله سينصره عليهم . . والله سبحانه وتعالى قد أدخل الجن فى التحدى بالنسبة للقرآن ومنهج الإسلام . .

وكان لابد . . تحقيقا لهذه الآيات الكريمة . . التى تحدت الإنس والجن . . أن يتم تحد حقيقى لقوى الجان . . فيحاولون النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفشلون . . وأن يكون هذا معروفا . . ليس للجن وحدهم . . ولكن للإنس والجن . . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل للاثنين . . الإنس والجن . . فلابد أن يعرفوا أن كيد الإنس والجن مجتمعين لن ينالوا منه شيئا .

ولو أن هذا السحر حدث خفية . . وليس علنا بحيث عرف به الناس . . لقالوا إن القرآن قد تحدى الإنس والجن . . والإنس دخلوا فى التحدى وفشلوا . . ولكن الجن لم يدخلوا . . وربما لو كانوا قد دخلوا فى التحدى لنجحوا . . فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يُثْبِتَ لهم أن الجن لو دخلوا فى التحدى لفشلوا .



على أننا يجب أن نلتفت إلى أن الإنس والجن .. تآمروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات .. وأن المؤامرة لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة الهجرة شاركت فى اجتماعات تدبيرها الشياطين من الإنس والجن . والله سبحانه وتعالى شاء أن يتحدى كل ما دبروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخفاء .

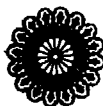
وكان الأسلوب لابد أن يكون ظاهرا فيه القدرة الإلهية .. التى تحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلم يشأ الحق تبارك وتعالى أن يخفي رسوله صلى الله عليه وسلم .. فى مكان أمين لايصل إليه الكفار .. فأبقاه فى بيته وعرف الكفار أنه فى بيته .

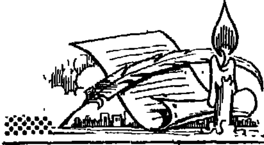
ولم يشأ الله سبحانه وتعالى .. أن يجعل رسوله صلى الله عليه وسلم يخرج من البيت قبل أن يصل إليه الرجال الأشداء .. الذي اختيروا لتنفيذ مؤامرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بل وصل هؤلاء الرجال .. وأحاطوا ببيت رسول الله عليه الصلاة والسلام والرسول موجود فى البيت .. وهكذا اكتملت كل أركان المؤامرة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فى بيته .. والرجال

الذين جاءوا لقتله يحاصرون البيت . ثم ماذا حدث ؟ . . حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته . . سلب الله الأبصار من عيون الرجال الذين جاءوا لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وألقى عليهم النوم . . وأمسك رسول الله عليه الصلاة والسلام . . بحفنة من التراب وقذف بها وجوههم وقال (شاهت الوجوه) . . ولم يتحرك أحد منهم . . ولم يحس بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بينهم فى طريقه إلى الغار .

وكان هذا الإعجاز الإلهى . . هو التحدى الحقيقى للكفار . . فلو أن رسول الله عليه الصلاة والسلام اختفى فى مكان لايعرفونه . . لقالوا لو وجدناه لقتلناه . . ولو أنه عليه الصلاة والسلام خرج من بيته قبل أن يصل الكفار الذين أعدوا لقتله . . لقالوا لو وصلنا وهو فى بيته لقتلناه . لقد عرفوا مكانه وهو نائم فى فراشه . . ولكنهم عجزوا عن قتله . . وخرج صلى الله عليه وسلم سالما .





كذلك قصة السحر .. فلو أنهم لم يستعينوا بالسحر والجان .. لقالوا لو استعنا بالسحر لكانت لنا الغلبة عليه .. ولو أن الحق سبحانه وتعالى أبطل السحر قبل أن يقع .. لقالوا لو ان السحر لم يبطل .. لكان لنا معه شأن آخر .

ولكن الحق سبحانه وتعالى شاء أن يستعان عليه بالسحر والجان .. وأن تسحر عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كما سُحِرَت عينا موسى من قبل .. ثم يدله الله جل جلاله على مكان السحر ليبطله .. وعلى من قام بالسحر ليعرفه المسلمون جميعا .

إذن هذه مسألة ليست على رسول الله وإنما هى له .. وهى تثبت لنا أن الجن قد دخلوا فى التحدي ضد الرسول الكريم .. وأن الله جل جلاله نصره عليهم .

على أن السحر الذى تعرض له رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .. كان من نفس نوع السحر .. الذى تعرض له موسى عليه السلام .. وهو سحر التخيل .. الذى يؤثر على العين وحدها ولايؤثر على العقل أو القلب ولاباقى أعضاء الجسم .. أى أن التخيل بالبصر فقط ..

ولعلنا بذلك نكون قد أوضحنا خواطرنا حول ما فهمناه من قصة سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نأتى بعد ذلك إلى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن الحق سبحانه وتعالى كان رحيما بعباده . . فإنه وإن كان قد أعطى بعض خلقه القدرة على الاستعانة بالشياطين فى إيذاء البشر . . فإنه قد احتفظ لنفسه سبحانه وتعالى بإذن الضر . . وطلب منا أن نستعيذ به من ا لسحر وقد أخذنا دعاء من نص الآية السابق ذكرها للوقاية من السحر والحسد .



اللهم انك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ، ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضر . فأعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه .بحق قولك : « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله »

وقد يتساءل الناس . . كيف يمكن أن يخيب السحر ؟ . .

نقول : إن هذا يحدث فى حياتنا المادية . . لنفرض أن انسانا يريد أن يقتلنى . . أعطاه الله القدرة على أن يشترى المسدس الذى سيقتلنى به . . وأعطاه القدرة أن يتعلم كيفية إطلاق النار . . وأقدره الله أن يواجهنى فى مكان خال ليس فيه أحد . . إذن فقد أعطاه الله كل الأسباب . . ولكن هل معنى اعطاؤه هذه الأسباب . . أنه قادر على أن يقتلنى ؟

نقول لا . .

لأنه قد تهتز يده لحظة إطلاق النار فلا تصيبنى الرصاصة . . وقد أتحرك أنا بإلهام من الله يمينا أو يسارا . . فتطيش الرصاصة . . وقد انحنى فجأة أو أقفز فجأة . . أو يعوى كلب فجأة بصوت مخيف . . فيدخل الرعب فى قلبه وفى قلبى فلا يتم شيء . .

وهناك أمثلة كثيرة فى الحياة .

ألا نسمع عن قاتل ذهب ليقتل شخصا . . فأخطأه فى الظلام وقتل إنسانا آخر . . أو حاول أن يضرب شخصا ما . . فجاء شخص آخر متدخلا لتحدث المشاجرة بينهما ولا يحدث للمقصود بالضرب شىء .

ولذلك لابد أن نلتفت إلى أنه إذا تكاملت الأسباب وحدها . . فليس معنى هذا ضرورة وقوع الشىء . . لأنه فوق كل الأسباب أرادة الْمُسَبِب . . وهى التى تجعل الشىء يقع أو لا يقع . . مهما تكاملت الأسباب .

فقد تغرق سفينة فى البحر . . وتكون الأسباب متكاملة ليغرق كل ركابها . . ولكن إرادة الحق تشاء أن يمسك شخص أو شخصان . . ببرميل طاف يأخذهما إلى الشاطىء .

وقد يتهدم بيت ويقتل كل من فيه . . ولكن عرقا من الخشب يحمى حياة رجل نائم تحته . . فهذا العرق يكون السبب فى وصول الهواء . . ومنع الأنقاض من أن تهشم رأس الرجل .

وقد ينهار بيت على مجموعة من السكان . . ويأتى رجال الانقاذ ليخرجوا بعضهم أحياء وبعضهم أموات . . مع أنهم كانوا يعيشون فى بيت واحد . . وتعرضوا لنفس الظروف . .

وآلاف الأمثلة الأخرى تؤكد أن إذْن الله هو الفاعل مع اكتمال الأسباب المادية . . وإذن الله هو الفاعل أيضا مع اختفاء الأسباب المادية .

فقد يكون الإنسان فى مكان هو أبعد فيه ما يكون عن الخطر . . ثم تأتى رصاصة طائشة لاتعرف من أين فتقتله . . وقد يدخل إلى مكان ليحتمى فيه من خطر محتمل . . كأن يدخل مغارة أو كهفا أو بدروما ليحتمى من شخص يطارده ويريد إيذاءه . . فيجد فى هذه المغارة ثعبانا أو وحشا يقتله . . أو يظن صاحب البدروم أنه لص يريد ايذاءه فيطلق عليه الرصاص . .

إذن هو نجا من خطر متوقع أو محتمل ، ليواجه خطرا واقعا . . إن على الإنسان المؤمن دائما أن يتذكر قدرته المحدودة . . وقدرة الله التى هى بلا حدود . . فلا يستسلم لوهم أن هناك إنسانا أو شيطانا . . قادر على أن يصيبه بالأذى أو يضره . . بعيدا عن قدرة الله سبحانه وتعالى . .

إن الحق جل جلاله يلفتنا إلى أن السحر أو غير السحر . . لن يضر أحدا إلا بإذن الله . . وأن الضر لايقع إلا إذا أراده الله .

الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ

ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا
شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

ولقد تحدثنا عن أن السحر يضر الساحر والمسحور . . وبينا كيف أن الساحر يصاب بالكوارث ويموت ذليلا . . تملأه المرارة والحزن والتشرد والفقر والخيبة الكاملة . . لقد قال الملكان اللذان علما الناس السحر . . لكل من رغب فى تعلمه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » .

ولكن الإنسان الظلوم الجهول . . قد أقبل على تعلم السحر . . ظنا منه أنه اشترى شيئا يكسب منه المال . . وهو لايدرى أنه قد باع نفسه بشرِّ ثَمَن . . وأنه أخذ الضر . . وخسر الدنيا والآخرة .

إن السحر لايزيد فرصة الإنسان فى الحياة . . بل يؤدى إلى الكفر . . ويؤدى إلى فقدان الدنيا والآخرة . . ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أن الذين يمارسون السحر . . قد اشتروا أسوأ ما فى الدنيا . . وباعوا أنفسهم ليأخذوا الكفر والفقر وعذاب الآخرة .

إلى هنا نكون قد تحدثنا . . عن واقعة السحر التى تعرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وبينا ان موسى عليه السلام سُحِرَ أثناء مواجهته لسحرة فرعون . . وأن الله سبحانه

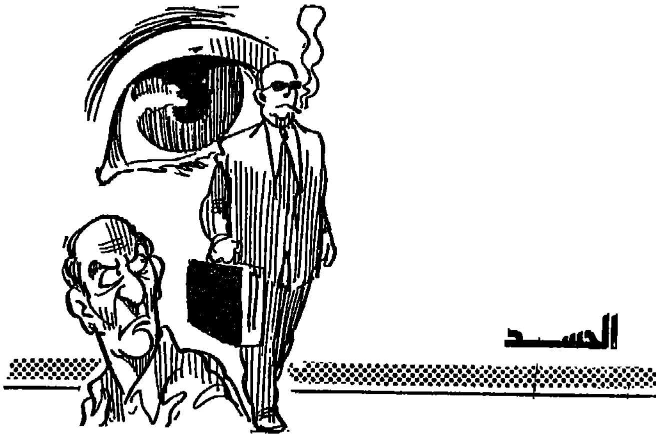
وتعالى ثبته . . وأن مسألة تعرض رسولنا صلى الله عليه وسلم للسحر . . كانت من تمام تحدى هذا الدين للجان . . وأن الله دل رسوله على من قام بالسحر ومكان السحر . . وأن هذا للرسول عليه السلام وليس عليه .

ثم أوضحنا أن الحق سبحانه وتعالى احتفظ بإذن الضر من السحر لنفسه . . فلا يقع الضر من ساحر على مسحور إلا بإذن الله .

وبقى أن نتحدث عن قوة خفية أخرى هى غيب عنا . . ولكن الله سبحانه وتعالى قد حذرنا منها وهى الحسد .



الفصـــل الســـادس



الحســـد

إذا كنا قد تحدثنا عن السحر . . فلابد قبل أن ننهى الحديث . . أن نتكلم عن الحسد . . ذلك أن الحسد ـ كالسحر ـ من القوى الخفية فى الكون . . ولولا أن الحق سبحانه وتعالى . . ذكر لنا الحسد فى القرآن الكريم ، لما عرفنا شيئا عنه ، فهو غيب عنا فى كل صوره .

والحسد هو تمنى زوال نعمة . . دون أن يكون الحاسد مستفيدا مما سيحدث .

أحيانا تتمنى زوال نعمة من إنسان لتأخذها أنت . . أو تعمل على أن تجرد إنسانا من نعمة لتستأثر بها لنفسك . . ولكن الحسد غير ذلك . . انه تمنى زوال النعمة دون أن يستفيد الحاسد شيئا .

والحسد مقطوع به ، وصحيح مؤكد الوجود ، لأنه ورد فى القرآن الكريم . . وهو شر من قوى الغيب التى تضر الإنسان . . ولذلك طلب منا الحق سبحانه وتعالى . . أن نستعيذ به جل جلاله :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

(الآية ٥ من سورة الفلق)

إذا كنا لانعرف شيئا عن الحسد . . فإننا نقول إن الشيء

كلما كان دقيقا لاتراه العين . . كان أثره وفعله أكبر . . وكان عنيفا فى فعله . فأدق الجراثيم مثلا هى أعنفها فى التأثير على الجسم . . وهى أقواها فى مقاومة الدواء . . وكلما ارتقينا فى العلم واستطعنا تكبير الأشياء . . مئات الألوف من المرات أو ملايين المرات . . اكتشفنا جراثيم وأشياء غاية فى الدقة . وتأثيرها غاية فى العنف .

إذن فكوننا لانرى شيئا بالنسبة للحسد . . فليس معناه انه لاتأثير له . . أو أن تأثيره ضعيف .

وإذا أردنا أن نقرب الصورة إلى الأذهان . . نقول : انه مع تقدم العلم . . تم اكتشاف أنواع عديدة من الأشعة . . منها أشعة الليزر التى تم اكتشافها فى السنوات الأخيرة .

أشعة الليزر هذه . . تستخدم استخدامات علمية كبيرة . . وهى من أدق الوسائل للقياس . . بل إنها تستخدم فى العمليات الجراحية الدقيقة . . بحيث تتم العملية الجراحية بأشعة الليزر دون تدخل مشرط الجراح ودون نزول قطرة دم واحدة . . وهذه الأشعة تخترق أدق وأصعب الأشياء .

والطب الحديث بدأ الآن يحاول الاعتماد على أشعة الليزر . . فى مجالات كثيرة . . ومع ذلك هل يرى المريض الذى يعالج . . أو الذى تجرى له العملية الجراحية بأشعة الليزر . . هل يرى هذه الأشعة ؟ . . أو يعرفها وهى تدخل إلى جسده ؟ . .

لا . . ولكن تأثيرها داخل الجسد أقوى من تأثير مشرط الجراح

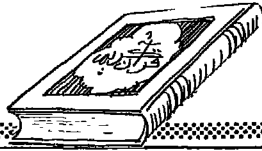
إذن هناك شيء خفى عن العين . . يستطيع أن يدخل إلى الجسد . . ويفعل فيه أشياء أكثر أثرا من مشرط الجراح .

ما الذى يدريك أن عين الحاسد لايخرج منها أشعة أشد فتكا من أشعة الليزر . . تدخل إلى جسدك وتفعل فيه أشياء وأنتَ لاتدرى ؟ . . ألا يمكن أن تقرب الينا مسألة أشعة الليزر هذه ماذا يحدث من عين الحاسد ؟ وتعطينا صورة من واقع محس . . تقرب إلى أذهاننا صورة من غيب لا يُحَسُّ ولا ندرى به .

ألا تجد إنسانا غاضبا . . ثم تقول أن عينيه تقدحان بالشرر أو بالشر أو بغير ذلك ؟ . . من أين جئت بهذه التعبيرات ؟ . . وهل هناك شرر حقيقى أو شر مادى نراه فى العين ؟ . . أم أن هذا إحساس نشعر به ، وإن كنا لانرى أشياء مادية أمامنا تؤدى إليه . . فلا أحد أرانا شررا ماديا يخرج من العين . . ولا أصدر أى شر مجسما أمام العين .

ولكن هذا الإحساس فى داخلنا . . يدل على أننا نحس بأثر شيء غير مادى . . تماما كما يحس المريض بأثر أشعة الليزر ولكنه لايراها .

إن هذه الصورة كلها التى ذكرتها . . إنما هى محاولة لتقريب المعنى إلى الأذهان .



الحسد حقيقة

ولكن الثابت من القرآن الكريم . . أن الحسد حقيقة . . وأنه يصيب الإنسان بالشر . . وكوننا لانرى شيئا ماديا . . فإنه كما قلنا . . كلما صغر الشيء . . كان عنفه أكبر . . فالعنف ليس مرتبطا بحجم المادة . . إنما بعمق فاعلية المادة وتأثيرها .

والحسد والسحر هما من الشرور غير المرئية . . التى تتساوى مع الشرور المرئية . . وإن كانت أدواتهما غاية فى الدقة . . وغاية فى العنف فى وقت واحد . . والإشعاعات لاتخرج من الحاسد إلا فى حالات الحقد والحسد .

والحق سبحانه و تعالى يقول :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

(الآية ٥ من سورة الفلق)

ومن هنا نعلم أن الإنسان يمكن أن يناله الحسد . . وأن الحسد شر لابد أن نستعيذ بالله منه . . وفى كل جسد توجد غرائز كارهة حاقدة . . إذا أثيرت يترتب عليها أفرازات تهيج الدم . . وفى هذه الحالة يحدث الحسد . . والله سبحانه وتعالى ـ رحمة بنا ـ قد أمرنا ان نستعيذ به من الشرور الخفية كالحقد والحسد .

ونحن إذا كان إيماننا قويا بالله ـ واتجهنا إليه سبحانه وتعالى نستعيذ به فإنه جل جلاله يقينا شر هذا كله .. ولكن الذى يبقى فعل هذه الأشياء .. أننا لانلجأ إلى الله جل جلاله .. ولكن إذا أصابنا ضرر .. فإننا نحاول أن نلجأ إلى قدرات البشر ، فإذا أصيب الإنسان بضرر السحر ، فإنه ينتقل من ساحر إلى ساحر إلى ساحر .. يحاول أن يبطل أثر السحر .. مع أنه لو اتجه إلى الله تبارك وتعالى .. بقلب مخلص .. فإن السحر يبطل فعله .

وكذلك الحسد .. نحن نحاول أن نلتجىء إلى التمائم أو الأحجبة .. أو أشياء أخرى كالاستعانة بخرزة زرقاء أو غير ذلك .

هذه التمائم كلها لاتضر ولا تنفع .. ولا تُذهب حسدا ولاتُزيل سحرا .. وهذا نوع من الشرك نُحَذِّرُ الناس منه .. لأن الفعل فى الكون كله لله سبحانه وتعالى وحده .. فلا يوجد فعال لما يريد .. إلا الحق جل جلاله .. فإذا التجأنا لغير الله عز وجل .. نطلب منه الحماية أو إزالة الضر أو غير ذلك .. فإن هذا يكون نوعا من الشرك .

الله تبارك وتعالى أمرنا فى كتابه العزيز .. أن نستعيذ به من كل هذا ..

فقال جل جلاله :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ

إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

(سورة الفلق)

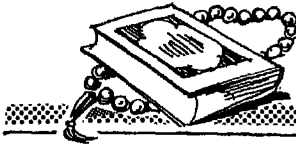
وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

(سورة الناس)

وما دام الحق سبحانه وتعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « قل » .. فكأنما نحن حين نقرأ هذه الآية نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على أننا لابد أن نلفت إلى أننا فى سورة الفلق .. نتجه إلى الله ونستعين به فى الأمور التى لا إرادة لنا فيها .. ولا نستطيع فيها دفع الضر عن أنفسنا .. وفى سورة الناس .. نتجه إلى الله جل جلاله ونستعيذ به فى الأمور التي لنا فيها إرادة .. ولكننا نخاف أن نضعف أمامها .



يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ . . والفلق هو الصبح أو النور يأتى ليمحو الظلام . . فكأننا نستعيذ بنور الحق تبارك وتعالى . . ليطرد ظلمة الشر والباطل من نفوسنا . . ويضىء لنا بنوره جل جلاله طريق الحق .

والاستعاذة هنا هى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى من شىء يفزع الإنسان منه ويهدد أمنه وأمانه . . ولا يستطيع الإنسان أن يواجهه بقدراته . . ولذلك يلجأ إلى القادر على دفع السوء .

وإذا كان الله جل جلاله قد طلب منا أن نستعيذ به . . فإننا حين نفعل ذلك نطبق منهج الله . . والمنهج هو النور والهداية للإنسان فى حياته . . و « الفلق » . . هو النور يطرد الظلمة . . والله سبحانه وتعالى نور السموات والأرض . . وهو جل جلاله الذى أوجد النور فى القلوب . . ليهدينا إلى الإيمان واليقين . . وهوالذى أوجد النور فى كونه كله ليهدينا سبل الحياة .

الله سبحانه وتعالى حين طلب منا أن نفزع إليه . . قال « من شر ما خلق » . . ونحن لنا هنا وقفة . . فالله لم يخلق شرا بالنسبة للإنسان . . ولكنه جل جلاله خلق النافع فى حياتنا . . والإنسان باختياره هو الذى أوجد الشر . . وأوجد

المعصية ، وأوجد مايفسد الكون . . وفى ذلك يعطينا الحق سبحانه وتعالى . . فى القرآن الكريم مثلا عن معنى الشر فى قوله سبحانه :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(الآية ٦٧ سورة النحل)

والآية الكريمة تدلنا على أن الله سبحانه وتعالى . . خلق التمر والعنب لنأكل منهما . . ولكننا حولناهما من رزق حسن إلى شر . . بأن صنعنا منهما الخمر والنبيذ .

وإذا نظرنا إلى ما حولنا . . نجد أن الشر نابع من سوء استخدام البشر . . وليس من الشىء نفسه .

فالسكين مثلا تنفعنا فى أشياء كثيرة . . ولكننا نستطيع أن نحولها إلى شر بأن نذبح بها الناس .

والتليفزيون مثلا نستطيع أن نستخدمه فى كل ما ينفع الناس من علم . . ولكننا نحوله إلى شر . . بأن نعرض فيه كل ما هو حرام ومفسد .

اللسان مثلا يمكننابه أن نشهد انه لاإله إلاالله وأن محمدا رسول الله . . وأن نقرأ القرآن . . ولكننا نحوله إلى شر بأن ننطق به كلمة الكفر والعياذ بالله . . وأن نصد به عن سبيل

الله . . وأن نشهد به الزور إلى غير ذلك .

واليد منافعها لاتعد ولاتحصى . . ولكننا نستطيع أن نحولها إلى شر . . بأن نجعل وظيفتها هى القتل والإيذاء وارتكاب المحرمات .

إذن الشر فى الكون من سوء استخدام الناس لما خلقه الله تبارك و تعالى لنفعهم . . وبذلك نعرف معنى الآية الكريمة : « من شر ما خلق » . . وقوله تعالى : من شر غاسق إذا وقب » . . أى من شر ظلمة الليل : « إذا وقب » . . معناه إذا دخل بظلمته . . والليل بظلامه يجعل الإنسان عاجزا عن حماية نفسه لأن الإنسان لا يرى فى الظلام ما يدبر له . فقد يستتر عدوٌ له فى الظلام ويقتله . . وقد يوجد ثعبانا أو حشرة مؤذية لايراها فى الظلام فتؤذيه . . والليل هو السكون والراحة والنوم . . والإنسان حين ينام يكون عاجزا عن الدفاع عن نفسه . . ولذلك فهو محتاج لمن يحميه ومن يحرسه .

ومن هنا فإن الحراسات تزداد ليلا . . ويقال لرجال الشرطة أنهم ساهرون لحماية الأمن . . لأن الإنسان فى النهار يستطيع أن يحمى نفسه . . أما فى الليل فهو محتاج لمن يسهر ليحميه .



وقوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » أى من شر كيد السحرة .. « والنفاثات فى العقد » هم السحرة على إطلاقهم .. وقيل إن بعض السحرة يعقدون عُقَدًا وينفثون فيها .. أى ينفخون نفخا خفيفا .. فيصيب الناس السحر .

وقوله جل جلاله : « ومن شر حاسد إذا حسد » . أى من شر تلك القوى الخفية .. التى تصيب الإنسان بالضرر .. والتى تملأ القلوب بالحقد .. والحاقد الحاسد قد يفعل أى شىء مدمر .. كأن يحرق بيت من يحقد عليه ويحسده .. أو يؤذيه فى نفسه أو فى ماله أو فى أولاده .. ولا يوجد شىء كالحقد والحسد يدمر ويؤذى .

والحسد مناقض للإيمان .. لأن فيه عدم الرضا بقضاء الله .. وعدم الرضا بما قسمه الله لك .. وعدم الرضا بأقدار الله فى كونه .

والله سبحانه قد وزع على الناس النعم بالعدل .. ولكننا للأسف الشديد لاننظر إلا إلى نعمة المال ونهمل كل شىء .. مع أن هناك نعما كثيرة تساوى أضعاف نعمة المال .

فنعمة الصحة مثلا من أكبر نعم الله على عباده .. وإلا مافائدة مال الدنيا كله وأنت مشلول عاجز فوق سريرك ..

لا تستطيع الحركة . . حولك كل النعم ولكنك لاتقدر على الاستمتاع بها .

وما فائدة المال إذا حرمك الله سبحانه نعمة النظر . . فصرت لاترى شيئا من هذا الكون البديع . . ولا تستطيع أن تخطو خطوة إلا إذا أعانك أحد من الناس . . وإذا تركوك تخبطت بأشياء قد تحطمك .

وما فائدة المال إذا لم تعط نعمة السمع فأصبحت عاجزا عن أن تفهم ما حولك . . عاجزا عن الكلام وعن تلقى العلم وعن التقدم فى الحياة . . عاجزا عن أن تعرف معنى الحياة كلها .

وما فائدة المال إذا فقدت نعمة العقل . . فأصبحت مجنونا أو مصابا بتخلف عقلى . . يجعل حياتك جحيما مهما كان عندك من المال . . وما فائدة المال إذا ابتليت بمصائب الحياة فمات أولادك كلهم . . أو كرهك الناس جميعا . . بحيث لاتستطيع أن تعيش آمنا .

ألم نشاهد حكاما وملوكا انقلبت عليهم شعوبهم . . وذهبوا يبحثون عن ملجأ لينجوا بأنفسهم من القتل . . فإذا بمعظم دول العالم ترفض منحهم حق اللجوء . . وتضيق عليهم الأرض بما رحبت . . ويعيشون أذلاء فى المنفى أو فى خوف مستمر . . لاينامون الليل خوفا من أن يتمكن منهم أعداؤهم . . والمال قد يكون نقمة . . يؤدى إلى الفساد وإدمان المخدرات وغير ذلك .



إننا لا يجب أن نحسد الناس على أموالهم . . لأن الله يعطينا من البركة ما يجعل قليل المال يكفينا . . وقد يبارك لنا فى أولادنا . . فيكونون قرة عين لنا . . بينما يكون أولاد الأغنياء نكد وغيظ عليهم.وقد يعطينا الله الحياة الهادئة المستقرة بينما يعطى الأغنياء حياة الانفعال المستمر الذى لا ينتهى .

وعلى آية حال . . فإن الحسد هو عدم الرضا بقضاء الله وقدره . . ونحن مطالبون بأن نرضى بقضاء الله . . وأن نحمد الله على كل ما يحدث لنا . . فالله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أننا لا يجب أن نحزن على شىء فاتنا . . لأنه قد يكون هذا الشىء فيه شر أبعده الله عنا . . وألا نفرح بما يأتينا . . لأنه قد يكون ذلك الشىء . . الذى أتانا وفرحنا به هو شر لنا . . وذلك مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(الآيتان ٢٢ و ٢٣ سورة الحديد)

وإذا رضى الإنسان بقضاء الله . . بارك الله له فى دينه وفى دنياه .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى ختام هذا الكتاب . . لنعرف أن السحر والحسد من القوى الخفية فى الكون . . ولكنها قوى موجودة . . والله سبحانه وتعالى أخبرنا بها . . وأن الله جل جلاله قد أعطانا فى قرآنه الكريم ما يقينا شر هاتين القوتين . . وطلب منا أن نستعيذ به منهما . . وأن من يتلو المعوذتين . . وهما سورتا الفلق والناس كل ليلة . . فإن الله يحرسه ويحميه .

كما أن فى آية الكرسى حماية لمن يتلوها من كل سوء . . ولنعرف أننا يجب أن نتجه إلى الله سبحانه وتعالى . . لأنه وحده القادر على حفظنا وحمايتنا . . وندعو الله جل جلاله أن يحفظنا من كل سوء فى الدنيا والآخرة . . وأن يوفقنا ويبارك لنا فى ديننا ودنيانا . . أنه سميع مجيب الدعاء .



الفهرست

الكتـــاب القــادم

من مكتبة الشيخ الشعراوى الاسـلامية

يــوم القيــامــة

رقم الايداع ١٩٩٠/٣١٧١
الترقيم الدولى ٦ - ٣٦١ - ١٢٤ - ٩٧٧

وكلاء التوزيع بالخارج

السعودية : تهامة للتوزيع
• شارع الملك فهد خلف اسواق النويصر
الأردن : شركة وكالة التوزيع الاردنية
عمان - الأردن
المغرب : الشركة الشريفة للتوزيع والصحف (سوشبرس)
الدار البيضاء - المغرب
اليمن : محلات القائد التجارية
باب مشرف ص. ب ٣٠٨٤
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات
ص. ب ٦٥٨٨
القدس : يوسف رحيل
ص. ب ١٩٠٩٨
أبو ظبى : دار المسيرة
شارع السلام منطقة النعمان السياحي - ابو ظبى
الدوحة.قطر: دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ٦٣٣
دبـــى : دار الحكمة
ص. ب ٢٠٧

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم

مكتبة الشعراوي الإسلامية

كتب تتوارثها الأجيال

هذا الكتاب

[illegible]